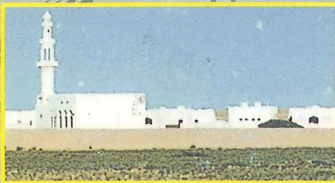
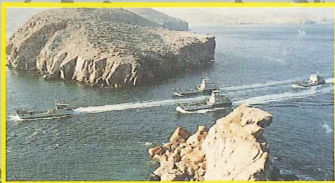
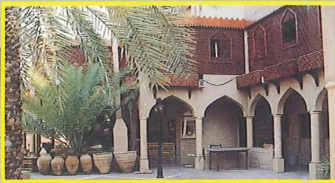
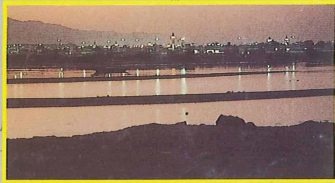
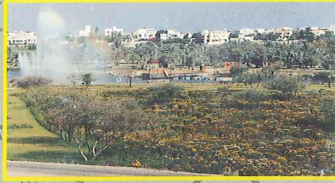
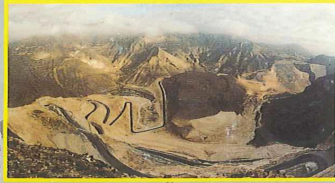
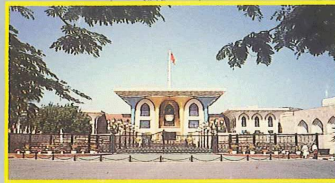


سلطنة
عُمان

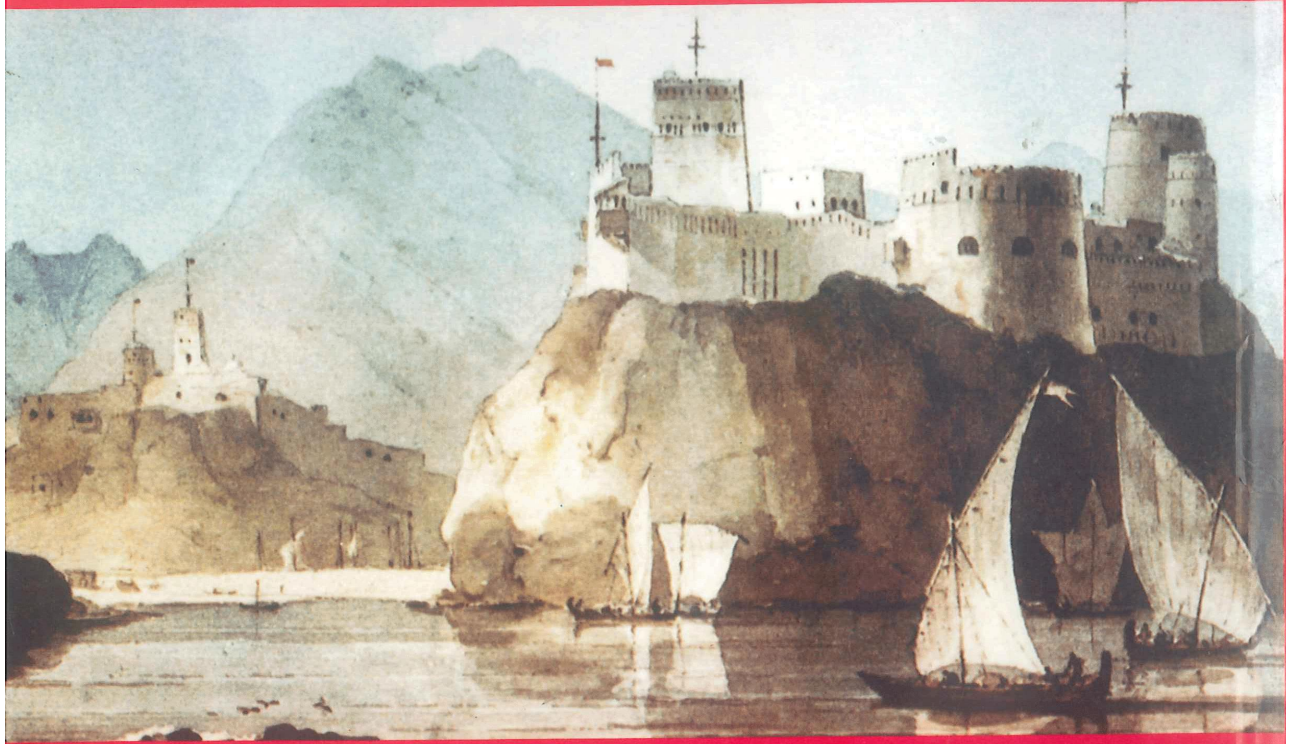
مسيرة الخير



إصدار وزارة الإعلام

١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م

مسيرة الخير





تقديراً

جُمان فابوس، معجزة ساحطة قضى بهين الناري وترى الهدق
معاني الإلهاء، إنطلافاً من أن ما تحقق حالي هذه الأرض المعطاة
خلال ربع قرن من الزمان هو إنجاز أسطوري في عصر انتهت فيه
المعجزات، وإبداع متميز قل ما تجود به الحضارات.
إن قيمة وأهمية ما أنجز خلال مسيرة النهضة الساملة التي يفوقها
ويرحها أحفادها صاحب الجلالة السلطان فابوس بن سعيد المعظم للترتيب
فقط بحجم ما تحقق أو بالمدى الزمني الذي أنجز خلاله، ولكنه بالبعد
الإنساني والتحول الحضاري الذي نفاحل بسعوره وإيجابيته مع كل القيع
الغالية والهمم الجبارة التي إلتصق وللازال بها العمالي في فصاخ منها
صانع الجدر فلادو النهضة، بل لا ليها الخمس والعشرين ونسج بغريته والهرار
خيوط الفجر الذي إنبأ في ٢٣ يوليو ١٩٧٠م فكان بداية نهج
جديد في كتاب جمان وبداية ماحمة أخرى من سلاحي العطاء
الناري حالي هذه الأرض العزيزة.

وزارة الاعلام مساهمة سخيا في إسطنبول بعض
ما حفلت به مملكة البناء خلال الخمسة والعشرين عاما الماضية
بسرعتها ان تضع مجموعة كتب (سيرة الخبز) المكونة من خمسة اجزاء
ثاني الجزء على مللح التاريخ العماني وسيرة البناء المؤسسي في السلطنة
والجزائر الخيرية الخيرية مع بنو الجغرافية وخصوصية كل منطقة من
مناطق السلطنة .

والن يغيب عن بال الفاري الكزعي ان ما بين وفي كل جزء من
هذه الكتب ما هو الاملاحة من الجوار التاريخي ، والاسرافات من فيض
خير النهضة الذي حو كل شهر من ارض عمان ، والاسرافات للفاق الغر
الولائي اللاحق الخيري سيرة الخبز خوزيد من القدر والرخاء والامن
والاستقرار ، ونبحر سفينة العطاء صوب مسارف الفوق الحادي
والعشرين بكل همة وإفئدة ... مجتهد الماخبي ، وسابقة الحاضر
ومستشفة المستقبل من اجل كل عماني حالي هذه الارض الغالية العزيزة
في ظل القيادة الحكيمة والرحابة الكريمة لرؤساء المسيرة المنطرة
محرفة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعوي - حفظه الله .

وزارة الاعلام



مقدمة

التاريخ ذاكرة الأمم ورصيد الحضاري من التجارب المتلاحقة، من لا يعرفه لا يقدر على مواجهة حاضره أو التحسب لمستقبله. ومن أجل ذلك فقد عنيت الشعوب بتاريخها وهي بصدد بناء نهضتها تقديراً لتحقيق الوعي القومي ونحيفاً للناس لكي يكونوا على مستوى الآباء مجداً وشموخاً، لذا فإن الدول التي تتطلع لمستقبل مشرق عليها أن تتزود بمخزون حضاري من التجربة الإنسانية القادرة على إعادة الذات بوعي وفهم شديدين.

ولما كانت عمان على رأس الدول التي خلفت تراثاً إنسانياً ضخماً صنعته عبر قرون وحقب تاريخية طويلة، فقد جاء إهتمام وعناية راعي النهضة العمانية الحديثة جلالة السلطان قابوس المعظم بالتاريخ وتراث الأجداد على قدر تلك الضخامة وفي مستوى ذلك التراث الخصب المتجدد عبر أجيال وأحقاب خلدها العمانيون بدمائهم وبفكرهم.

وقد إسم فكر وتوجيه جلالته عبر سنين النهضة التي تعيشها عمان بوعي شديد بأهمية التاريخ في بناء الإنسان تحقيقاً للذات العمانية وفي تذكير الأبناء بأن يكونوا على مستوى ما خلفه الآباء من رصيد حضاري ضخم لفت انظار كل المعنيين بدراسة التراث الإنساني.

واللافت للنظر في تاريخ عمان وجغرافيتها أن ارتباط اليباس بالبحر كان دائماً بمثابة قاعدة استراتيجية، حيث وجد العمانيون أنفسهم أمام حالة من التحدي جعلتهم في حالة من الاستنفار الدائم، وعليه فقد شكل التوازن بين البحر واليباس حلقة من حلقات النضال المتواصل، لذا فقد ارتبط الهاء باليباس من خلال منظومة متناغمة شكلت في مجملها كل هذا التراث التاريخي الضخم.

وإذا كان ثمة خاصية واحدة تميز بها موقع عمان الاستراتيجي، استمرت وأصبحت من الثوابت فتلك الخاصية أن عمان كانت دائماً إقليماً فاعلاً، حتى وهي محتلة أو مجزأة فلقد كانت مركز دائرة وليس على هامش دائرة أخرى.

وإذا كانت الجغرافية وراء السياسة فاعلمها تتطابق بشكل لافت على عمان، التي تعكس شخصيتها الاستراتيجية ملامح سياستها الخارجية والداخلية بدقة متناهية بما يؤكد مقولة ديجول الشهيرة: «الجغرافية هي قدر الأمم» ونضيف أيضاً انها العامل الثابت في صناعة التاريخ، لذا فقد قدر لعمان أن تكون قوة برمائية، تضع قدماً على اليباس وأخرى على الهاء ونجمع بذلك بين صفتي قوة البر والبحر بدرجات متفاوتة.

ووزارة الإعلام وهي تقدم هذه الدراسة تدرك أنها تقدم ملامح متلاحقة من تاريخ الوطن.. من الصعب أن يكون ذلك كل التاريخ العماني بل يمكن القول أنها ومضات من تاريخ الوطن الممتد عبر الزمن السحيق جدير بالعماني أن يفخر بها وأن يذكر بها غيره وأن يحفظها في قلبه وعقله فهي ذاكرة الوطن بانتصاراته وانكساراته بشموخه وضعفه.

هي قراءة متصلة أحياناً ومنقطعة في بعض الأحيان لكن في كل الحالات كانت عمان معطاءة وفاعلة كان البحر واليباس مصدر قوتها، حينما يلتحما معا تتحقق كل الانتصارات الكبيرة وحينما ينفصلا يحدث الانكسار وتتبدد معالم القوة.

وهذه الدراسة تتناول تاريخ عمان في كل مراحلها ابتداءً من التاريخ القديم ومروراً بالعصر الإسلامي ثم عصر النباهة واليعاربة وانتهاءً بعصر البوسعيديين.



جغرافية عمان... مفتاح شخصيتها



التنوع الجغرافي يعد رصيذاً قومياً ضخماً وقاعدة استراتيجية شكلت منظومة متناغمة وحلقة من النضال المتواصل... أوجدت تراثاً حضارياً ضخماً.





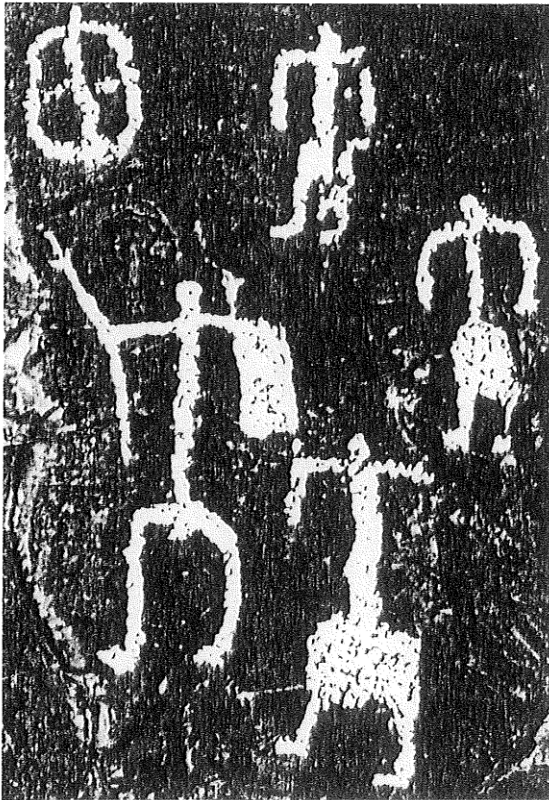
الشرقية وزهد من الشمال بالبحرين.

لقد كان كل هذا الامتداد والتنوع رأسمالا طبيعيا وسياسيا وموردا للثروة القومية كما انه يمثل شبكة جيدة من العلاقات الاقليمية والدولية.

لقد نجم عن هذا التفرد في الموقع نتيجة هامة، حيث سلك العمانيون طريق البحر ونبعوا في ركوبه والاستفادة منه، حتى اصبحت بلادهم قاعدة الخليج الاولى التي تتحكم في مداخله من الجنوب وحلقة الوصل الرئيسية بين عالمين، عالم الشرق الاقصى ممثلا في الهند والصين وجنوب شرق آسيا من جهة وشرق افريقيا ومصر ومنها إلى غرب اوروبا من جهة أخرى.

واللافت للنظر في جغرافية عمان ان ارتباط اليباس بالبحر يعد قاعدة استراتيجية حيث وجد العمانيون انفسهم امام وضع جغرافي جعلهم في حالة من الاستنفار الدائم.

لذا فإننا نستطيع ان نقول ان التوازن بين البحر واليباس



نقوش على الحجارة بتنوف في المنطقة الداخلية تدل على عمق الحضارة.

ليس من قبيل المصادفة أن دولاً بذاتها لعبت دوراً حضارياً فاعلاً في عمر البشرية، بينما دولاً أخرى لعبت دوراً متواضعا، فالموقع الجغرافي لبلد ما يعد محصلة لشبكة من العلاقات والقيم الحضارية، وقد اعتبر بعض المؤرخين الموقع بمثابة محصلة الموارد الطبيعية للثروة القومية وعدها رأسمالا طبيعيا وسياسيا أصيلا.

بل إن الموقع الجغرافي يعد في حالات كثيرة الرأسمال الحقيقي لعدد من الدول التي استثمرت موقعها بجدارة فائقة.

وعمان تعد واحدة من الدول التي يصعب فهم تاريخها خارج إطار جغرافيتها، لأن إمكانات الموقع لا تحقق نفسها بنفسها بل من خلال الانسان، ولأن هذه الامكانات لا تظهر كاملة كطفرة واحدة وانما تنمو وتبرز وتتطور في عملية حركية حيث تتفاعل العناصر الجغرافية والتاريخية بحركة منتظمة أحيانا وعشوائية في بعض الاحيان.

وهكذا اكتسب موقع عمان أهميته عبر قرون وحقب تاريخية من خلال مراحل محددة ومتميزة، كل مرحلة تتكشف فيها طاقات جديدة محصلتها في النهاية رصيد ضخم من التراث الحضاري.

وإذا كانت عمان تتميز بموقع جغرافي فريد بحكم تميز حدودها الجغرافية الطبيعية فإن هذا الموقع قد حفظ لها شخصيتها المستقلة واصبح اتصالها بالبحر من سماتها الواضحة، وكان تنوع اقاليمها الجغرافية في مقدمة العوامل التي جعلت من جغرافية عمان رصيذا قوميا ضخما، فامتداد السواحل لأكثر من ٧٠٠ كم وتميزها بكثرة الخلجان الطويلة العميقة، وفي الداخل جبال بها سفوح سكنها الانسان العماني منذ اقدم العصور، إلى اودية انحدرت من هذه الجبال وشكلت منظومة طبيعية، اضافة إلى الصحاري التي كانت دائما متنافسا للقبائل الضاربة في الصحراء.

لقد ضمن كل هذا التنوع مساحة من الارض تقدر بـ ٣١٢ ألف كيلومتر مربع، بيد أن عمان الحالية لا تمثل بلاد عمان في السابق، فقد كانت تشمل بعض الاقاليم المجاورة، حيث كانت تمتد جنوبا حتى الشحر وغربا حتى الربع الخالي وتتصل بالبحر من الجهات الشرقية والجنوبية الشرقية والشمالية

وإذا كانت الجغرافية وراء السياسة فاعلمها تتفق بشكل لافت مع عمان، التي تعكس شخصيتها الاستراتيجية ملامح سياستها الخارجية والداخلية بدقة متناهية بما يؤكد مقولة ديجول الشهيرة: «الجغرافية هي قدر الأمم» بل هي العامل الثابت في صناعة التاريخ، لذا فقد قدر لعمان أن تكون قوة برمائية تضع قدما على اليابس واخرى على الماء ونجمع بذلك بين صفتي قوة البر والبحر بدرجات متفاوتة، لكن في الغالب كان نداء البحر أقوى من جاذبية القاعدة وفي جميع الحالات التي انطلق فيها العمانيون عبر المحيطات والبحار كان البحر واليابس يتفاعلان بطريقة متناغمة، فاليابس عمقا استراتيجيا لتربية الرجال وزراعة الأرض وصنع الحضارة، والبحر مجالا حيويا لتصدير تلك الحضارة والقيم الانسانية.. وهكذا تحققت كل الأعمال الكبيرة حينما ارتبط البحر باليابس وتفاعلا معا في منظومة جغرافية مثالية لا تتكرر كثيرا.

عمان في كتابات الجغرافيين والرحالة

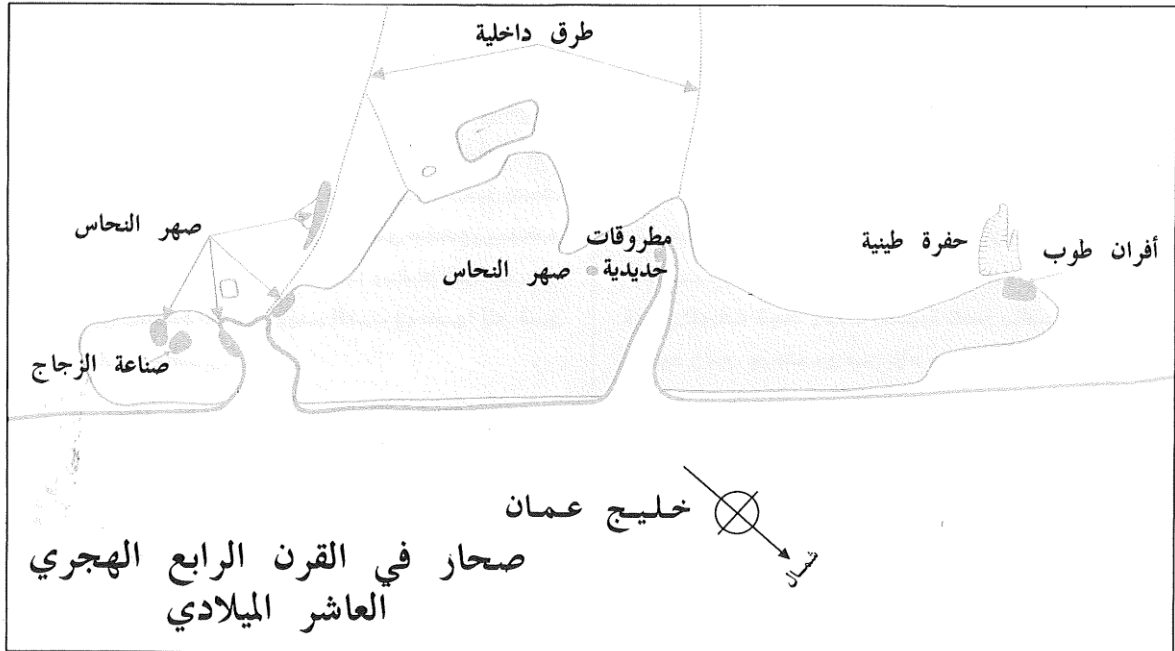
لقد شغلت عمان أهمية كبيرة في كتابات الجغرافيين والرحالة، ولفت نظرهم أهميتها الجغرافية وإسهامات أهلها في الحضارة الإنسانية، فيذكر أبو زيد الحسن السيرافي في كتابه الشهير «أخبار الصين والهند» أن عمان اشتهرت

شكل حلقة من حلقات النضال المتواصل ومن أجل ذلك فقد ارتبط الماء باليابس في منظومة متناغمة شكلت في مجملها كل هذا التراث التاريخي الضخم.

وإذا كانت ثمة خاصية واحدة تميز بها موقع عمان الاستراتيجي استمرت واصبحت من الثوابت فتلك الخاصية هي انها كانت دائما اقليما فاعلا، قطب قوة وقلب إقليم، حتى وهي محتلة أو مجزأة فلقد كانت مركز دائرة وليس على هامش دائرة اخرى.

لا شك ان هذه الخصوصية الجوهرية التي تكاد تنطوي على تناقضات مثيرة، لا يمكن إرجاع اسبابها إلا إلى جذور جغرافية أصيلة.

والحقيقة المؤكدة في شخصية عمان الاستراتيجية هي اجتماع موقع جغرافي أمثل مع موضع طبيعي مثالي وذلك في توازن وتناسم عجيبين، فإذا كانت الصحراء دائما من ظهر عمان تدق باستمرار على بابها الخلفي منذرة بالخطر واستنفار الهمم فإن البحر بغموضه ونحدياته كان يدق من الجانب الآخر.. وهكذا عاشت عمان دائما في حالة من الخطر الذي يتناسب طرديا مع أهمية الموقع إلا أنه خطر من النوع الذي يثير الهمم ويفتح الذهن ويبعد الانغلاق.





ومتاجرهم مربحة وثمارها عجيبة وطيبة ومن صار تجر المراكب إلى بلاد الصين.

أما (مسقط) فيذكر الإدريسي أنها مدينة مشهورة على ساحل بلاد عمان وهي قبة التجار من كل بلاد العالم.

أما ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) فقد أشاد بعمان وأهلها وأضاف ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عنها: «اني لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان على شاطئ البحر الحجة منها أفضل أو خير من حجتين من غيرها» ويكرر ياقوت الحموي ما قاله المقدسي عن عمان وأهلها ومدنها وخصوصا (صغار) وأهميتها التجارية وعلاقتها بكل بلاد الشرق. ثم نحدث عن (نزوى) ويعلق على اسمها قائلا: النزو هو الوشب، وتشتهر بالثياب المنمقة بالحبر، وهي ثياب جيدة لا يعمل مثلها في بلاد العرب وأهلها يصنعون آثار من صف تلك الثياب، أثمانها مرتفعة وهي تصدر إلى بلاد كثيرة.

ويضيف ابن المجاور (٦٩٠هـ/١٢٩١م) في كتابه «صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز» أن عمان تعم بالخير ونجارتها واسعة ومن مدنها قلعات ومسقط وصغار. ويذكر ابن المجاور أن مسقط كانت مرسى مدينة صغار فيها ترسو المراكب القادمة من أطراف البلاد ثم نعمل تلك المراكب بصنوف السلع المختلفة في طريقها إلى كerman وسجستان وبلاد خراسان وما وراء النهر وكرميل ومعظم تجارة عمان فقد وجد في مدينة واحدة مثل صغار ١٩٢ قنابا لوزن البضائع.

ويتحدث الدمشقي (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) في كتابه الشهير «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» أن بلاد عمان تشتهر «بالصبر» وهو صمغ من شجر له ورق كورق السوسن وعلى حرفي الورقة شوك وعليه رطوبة تلتصق باليد وصمغ عمان أسود لامع. ويستخرج من بلاد عمان أيضا «المقل الأزرق» وهو صمغ أشجاره كبيرة، ينبت في المنطقة الواقعة بين الشجر وEmman وهو صمغ طيب الرائحة، كما ينبت في عمان أشجار اللبان وخصوصا في ظفار ولا يوجد مثله إلا في بلاد اليمن.

وهذه الصورة الدقيقة التي وردت في كتابات الجغرافيين تكتمل بشهادات الرحالة الذين طافوا بلاد المعمورة وكانت

بالربانة والأدلاء الذين اعتمدت عليهم المراكب الصينية والهندية والعربية والأفريقية.

ويتحدث ابن خردادبة (٢٧٢هـ/٨٨٥م) في كتابه «المسالك والممالك» فيذكر أن خراج عمان يبلغ ٣٠٠ ألف دينار سنوي ومما يستلفت نظره أهميتها في التجارة العالمية، لذا يقصدها التجار من الهند والسند والصين.

ويذكر الاطرخي (٣٤٠هـ/٩٥١م) في كتابه «مسالك الممالك»: «أن عمان مستقلة بأهلها كثيرة النخيل والفواكه والرمال والنبق، أما قبة بلاد عمان فهي صغار التي تقصدها المراكب، وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على ساحل البحر بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة وبهاء ومالا من صغار.

أما ابن الفقيه (٣٦٥هـ/٩٧٥م) فيذكر عن عمان في كتاب «البلدان» أن أرض عمان هي صفوة الأرض من الأرضين وهي بمثابة الرأس منها تشتهر بالسمك والقنا (الرماح) ويعدد من صنوف زهورها الفرض والبلق والخبوت.

أما الإدريسي (٥٦٥هـ/١١٦٩م) فيتحدث عن بلاد عمان في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الأفاق» فيقول: «بلاد عمان زاخرة بخيراتها كثيرة النخيل والفواكه من الموز والتين والرمال والعنب ومن أشهر مدنها (صور) و(قلعات) وهما مدينتان صغيرتان لكنهما عامرتان، يشرب أهلها من مياه الآبار ويصاد اللؤلؤ من مياهها. ويضيف الإدريسي عن صناعة السفن في عمان وبالأخص في صغار ومرباط، حيث يعتمد العمانيون في صناعتها على خشب النارجيل وسعف النخيل، ويضيف الإدريسي أن في عمان دهن مشهور يستخدم في سد خروق المراكب بعد خرزها وبتلك المراكب ركب العمانيون المحيط الهندي وبحر العرب ووصلوا إلى شرق أفريقيا والهند والصين.

ومما يستلفت نظر الإدريسي مدينة (دما) (السيب) التي تعج فيها المياه صيفا بسبب قدوم الغواصين إليها، ففيها مغاص اللؤلؤ الممتاز وهي مشهورة بجيده، أما مدينة صغار فيذكر الإدريسي أنها من أقدم مدن عمان وأكثرها أموالا ويقصدها التجار من كل البلاد بأعداد لا تحصى وإلى هذه المدينة تجلب بضائع اليمن وأهلها في سعة من العيش



داخل أطلال ضريح السيدة مريم... وهي الاطلال الوحيدة المتبقية في قلعات وتدل زخارفها على التأثير الهرمزي (في القرن الرابع عشر الميلادي).



مسقط في القرن السابع عشر الميلادي.

عمان واحدة من محطاتهم.

لقد زار عمان كثير من الجغرافيين والرحالة وسجلوا انطباعاتهم عنها، واختلفت رؤيتهم وفقاً لسياق الزمن وثقافة العصر لأن ازدهار عمان اختلف عبر العصور، فمثلاً الرحالة الأوائل وغالبيتهم من الجغرافيين كابن حوقل والاصطخري فقد غلبت عليهم المعلومات التاريخية والجغرافية، أما رحالة القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين كماركو بولو الإيطالي وابن بطوطة فقد غلبت عليهم المعلومات الاجتماعية والثقافية والسكانية، وقد قدم هؤلاء الرحالة معلومات وافية عن تجارة عمان في البحار الشرقية ورحلة أبو عبيدة عبدالله بن القاسم العماني إلى الصين عام (١٢٣٣هـ / ٧٥٠م) وقد حملت السفن العمانية إلى الصين بضائع الشرق من الكتان والقطن والصوف والحديد الخام وسبائك الذهب والخيول العربية واللبن والصمغ، بينما اشترى العمانيون من اسواق الصين الحرير والكافور والمسك

والخزف ومن الهند خشب الساج والارز والمواد الغذائية.

وفي كتابات المسعودي الذي جاب البلاد الآسيوية ابتداءً من عام (٣٠٩هـ / ٩٢١م) نجدته يتحدث عن عمان وأهلها الذين وصفهم بأنهم من أحسن البحارة ولديهم خبرات كبيرة بالبحر وعدد أسماء المدن العمانية التي اشتهرت بالتجارة. فإذا ما وصلنا إلى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي من خلال رحلة الرحالة الإيطالي الشهير ماركو بولو الذي زار بلاد العالم من خلال رحلة استغرقت أربعة وعشرين عاماً امضى منها سبعة عشر عاماً في بلاد المغول وزار عمان اثناء عودته ولقبه الإيطاليون بماركو بولو العجيب وكانت (الشجر) هي اول المناطق التي زارها واشاد بأهميتها التجارية، حيث يصدر منها اللبان وذكر ان الخيول العربية تأتي في المرتبة الثانية وتباع بأسعار عالية وتصدر إلى الهند، ويضيف ماركو بولو كثيراً عن حاصلات عمان من البلع والسكر والفواكه وصيد الأسماك ويتعجب ماركو بولو من ان السمك المجفف يقدم

المرحلة الأولى

منذ أوائل التاريخ القديم كانت المناطق المجاورة للأطراف الشرقية والجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية مكانا لنشاط عدة سلطات سياسية، سيطرت على الطرق البرية والبحرية والتجارية التي تنصب إليها اجزاء العالم القديم المعروف في آسيا وأفريقيا وأوروبا.

وحينما أصبحت الدولة الإسلامية أكبر دول العالم في العصور الوسطى أخذت اطراف الجزيرة العربية على الخليج العربي وعلى خليج عمان تسترجع مكانتها على طرق التجارة العالمية القديمة.

المرحلة الثانية

وهي مرحلة الركود، التي تبدأ منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، حيث تسببت أحداث كثيرة في تدهور اوضاع المنطقة، ومن أهم هذه الأحداث تسلس البرتغاليين وسيطرتهم على البحار الشرقية، وهكذا اسقطت كل المنطقة بما فيها عمان في ركود طويل نتيجة لفقدان أهميتها المركزية في طرق التجارة العالمية.

المرحلة الثالثة

وهي التي تبدأ منذ منتصف القرن السابع عشر، حيث ظهرت دولة البعارة في عمان ونجحت إلى حد كبير في كسر شوكة العدو الذي لا يقهر بينما راحت قوى أوروبية جديدة - الانجليز والهولنديون والفرنسيون - تتفاعل مصالحهم وتتصادم بهدف التحكم في منطقة الخليج وبلغت هذه التفاعلات درجة كبيرة من التعقد والتشابك.

لقد أدركت عمان أهمية موقعها وسط طوفان العلاقات الدولية المتصادمة، لذلك سعت من أجل جعل الخليج منطقة سلام وهذه السياسة لم تكن مجرد استجابة سلبية لأهمية الموقع الجغرافي بل كانت استجابة لدواعي التنمية والتقدم، لذا فقد حرصت عمان على تنمية علاقاتها الدولية من خلال علاقات متوازنة مع جميع دول العالم دون النظر لطبيعة

كغذاء للماشية التي تعودت على تناوله.

ومن المهدن التي اشاد بها ماركو بولو مدينة ظفار التي يصدر منها الخيول واللبن ويقدر من التفصيل يتحدث عن قلعات وحاصلاتها ونجارتها ومينائها الذي اكتسب شهرة كبيرة.

وفي القرن الرابع عشر الميلادي تأتي رحلة ابن بطوطة إلى عمان، حيث يقدم وصفا دقيقا للحياة الاجتماعية والدينية ويصف أهل عمان بالتواضع وحسن الخلق وكرم الضيافة، ويذكر اسماء المهدن العمانية. ومما يستلفت نظره كثرة المساجد والزوايا ويشيد بالعاصمة (نزوى) وكثرة بساتينها وافلاجها ويصف اهلها بالشجاعة والنجدة والتقوى ومن عادات اهلها انهم يأكلون في صحن المساجد، حيث يأتي كل فرد بما عنده نجساً لضيف قادم، ويضيف ان حاكم المدينة عربي من الازد يعرف بمحمد بن نبهان ومن عاداته ان يجلس امام داره ولا صاحب معه ولا وزير ولا حرس ولا يمنع احدا من مقابلته.

وهكذا قدم الرحالة والجغرافيون مادة علمية غنية عن عمان وأهلها ونجارتها وحكامها وقد اجمعوا جميعا على زجدة أهلها وتسامحهم وبساطتهم وشجاعتهم ايضا.

جغرافية عمان السياسية

تبرز الاهمية الاستراتيجية لموقع عمان منذ الوهلة الاولى التي تقع فيها العين على خارطة العالم، فهي تحتل قلب العالم الاسلامي وعند شواطئها تنتهي الحدود الشرقية للوطن العربي.

ومن هذا الموقع الذي يمثل قلب الدائرة عند مدخل الخليج العربي تشترك عمان وايران في التحكم في مدخل أغنى مناطق انتاج البترول في العالم وذلك عن طريق مضيق هرمز، الذي يمر به أكثر من 70٪ من امدادات العالم النفطية، كما يمر به نحو 90٪ من واردات اليابان النفطية، 70٪ من واردات السوق الأوروبية المشتركة، 50٪ من احتياجات الولايات المتحدة الأمريكية.

ويمكن تلمس الجوانب السياسية للمكان الجغرافي ضمن ثلاث مراحل في تاريخ عمان:



نظمها السياسية والاقتصادية.

يصعب فهم مكونات الجغرافية السياسية لعمان دون التعريف بالخطوط العريضة للأرض العمانية التي تشكل المسرح البيئي الذي نجوي فوقه الأحداث السياسية . وتستأثر البيئة الساحلية بقسط كبير من نشاطات الإنسان العماني، فعند سواحل عمان تنتهي كتلة شبه جزيرة العرب التي يسميها البعض «كتلة الدرع العربي» وعلى مسافة قريبة من الساحل زهدت الشعاب المرجانية الصالحة لوجود محار اللؤلؤ الذي لعب دورا في التخفيف من حدة المشاكل الاقتصادية لفترة طويلة من الزمن.

إذا ما انتقلنا إلى بيئة اليابس فهناك بيئات طبيعية تمثل الوجه الآخر من قصة صراع الإنسان العماني مع البيئة وهو يكافح في صنع حياته ومستقبلها .

وتتكون المناطق الداخلية من عمان من هضبة قديمة يصل ارتفاعها إلى أكثر من ١٣٠٠م ينتصب وسطها الجبل الأخضر الذي يصل ارتفاع بعض جهاته إلى أكثر من ٣٠٠٠م ، ويحدد الودية التي تتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي سفوح هذه المناطق المرتفعة المنحدرة باتجاه السهول الساحلية.

وتشكل هذه السهول الساحلية مع المناطق الجبلية المرتفعة المجال الواسع الذي يمارس فيه العمانيون نشاطهم الزراعي، حيث تسبب الرياح الموسمية الصيفية كمية من الأمطار لا تقل عن ٢٥٠مم ، ولأسباب جغرافية بيئية فقد تركز معظم العمانيون في محافظة مسقط ومنطقة الباطنة، إذ يسكنهما ما يزيد قليلا عن نصف عدد سكان عمان وإذا ما أضفنا محافظة ظفار كدنا نحصر ما يقل قليلا عن ثلثي عدد سكان عمان.

أما التوزيع الفعلي للسكان في الوقت الحاضر فقد اختلف كثيرا عما كان عليه في الماضي بسبب برامج التنمية التي استوعبت كل مناطق عمان.

ويتميز العمانيون بأنهم من أكثر الشعوب ارتباطا ببيئتهم وخصوصا أهل الريف والبادية، لذا كانت نسبة سكان الريف حتى مطلع الثمانينات تصل إلى ٧٥٪ من مجموع عدد السكان ويبدو أن هذه النسبة قد انخفضت مع نهاية

الثمانينات بسبب الهجرة الداخلية إلا أن دراسات الإسقاط المستقبلي في ضوء ارتباط العماني ببيئته وفي ضوء مشاريع التنمية للمجتمعات الريفية والبدوية تبين أن هذه النسبة لن تقل عن ٥٠٪ مع مطلع القرن القادم.

والإلفت للنظر في شكل توزيع السكان حسب الفئات العمرية أنه مجتمع شاب فتى تنطش عليه فئات الأعمار الصغيرة، حيث يتوقع أن تصل نسبة من هم أقل من ١٥ سنة إلى ٣٦٪ في سنة (٢٠٢١م/٢٠٠٠م) كما أن نسبة من هم بين ١٥ و ٥٩ سنة تقدر بـ ٢٩.٢٪ ونسبة من هم أكبر من ٦٠ سنة تقدر بـ ٤.٧٪ . وتشير هذه الظاهرة إلى ارتفاع مستوى الخصوبة من جهة وإلى انخفاض نسبة الوفيات من جهة أخرى.

ومع بداية النهضة العمانية شهدت عمان تطورا شاملا شمل الإنسان والاقتصاد والأرض ولم يعد الإنسان في صراعه مع البيئة الجغرافية هو الجانب الأضعف بل أصبح الجانب الأقوى معتمدا على أسلحة جديدة وتكنولوجيا متطورة مما انعكس بشكل ملحوظ على مكونات الجغرافيا السياسية.

ونجد الإشارة إلى أن عمان في مقدمة الدول التي بدأت تستعد لعصر ما بعد النفط وذلك بتنوع مكونات الاقتصاد عن طريق زيادة مخصصات التنمية الصناعية والزراعية والسياحية وقد حققت التجارب الأولية نتائج مذهلة قوامها الإنسان العماني الذي وضعته النهضة العمانية أمام مسؤولياته الحقيقية.



من أساليب الري العمانية التقليدية.



تشكل السهول مع المناطق الجبلية المرتفعة المجال الواسع الذي يمارس فيه العمانيون نشاطهم الزراعي.

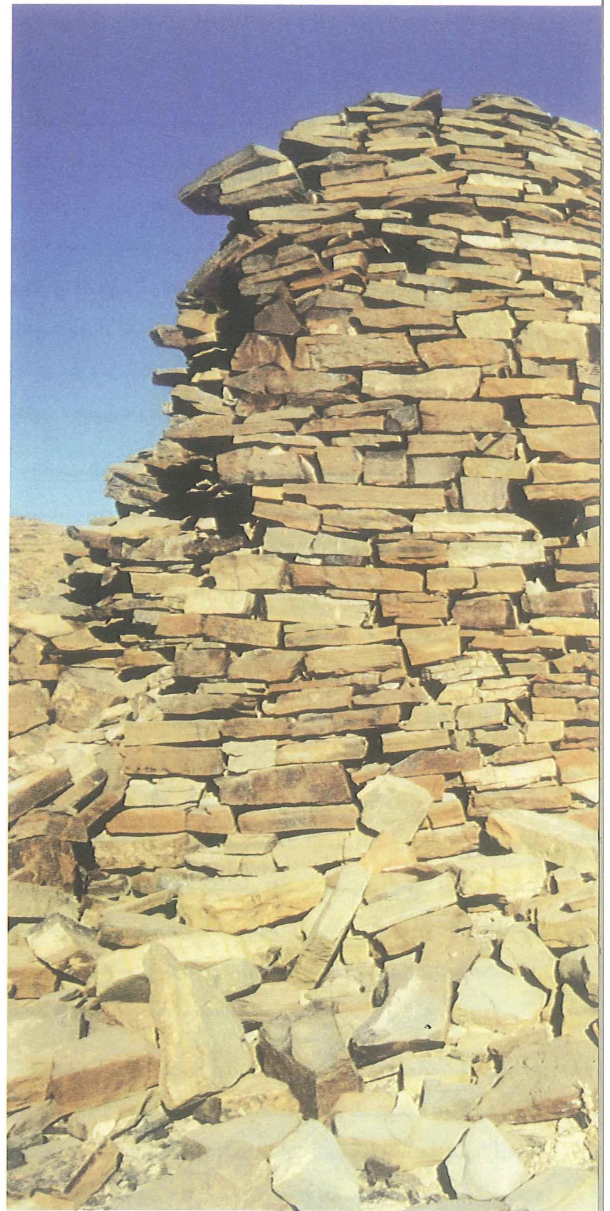


عمان في التاريخ القديم



مدافن (بات) التي يعود تاريخها إلى الألف الثالثة ق.م.

4000-1





في الخليج.

ومنذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد أخذ استخدام الحديد ينتشر بصورة متزايدة وبخاصة في صناعة الأسلحة مما قلل من أهمية الطلب على النحاس وشيوع مواد تجارية جديدة مثل اللبان والإفاوية والجمال والخيول، لذا فقد أخذت التجارة العمانية تتجه في معظمها صوب الغرب والشمال، لتتخذ مع تجارة قوافل جنوب الجزيرة العربية الواسعة فيما عرف بطريق البخور.

لقد تضاعفت أهمية تجارة عمان منذ الألف الأولى قبل الميلاد بسبب مقدرة العمانيين على توفير سلع أجنبية للأسواق العربية مثل القرفة التي كان يستوردها العمانيون من الهند ويقومون بنقلها إلى بقية الأسواق العربية. ومما يستلفت النظر أن اسم (مجان) قد أصبح له مدلول جغرافي أوسع خلال الألف الأولى قبل الميلاد، حيث شمل جميع الأقسام الجنوبية من الجزيرة العربية ابتداءً من مضيق باب المندب وحتى مضيق هرمز.

وعموماً فإنه مع ضعف الطلب على النحاس وجد العمانيون بديلاً في اللبان والبخور والخيول والمنتجات الهندية والصينية، ومن ثم فقد نشطت تجارة التوابل إضافة إلى الحرف التقليدية التي اشتهر بها العمانيون منذ العصور التاريخية القديمة وهي الزراعة وبرعوا في توفير المياه من خلال الأفلاج والعيون، وتقدم الدراسات الأثرية الحديثة ما يؤكد مقدرة الإنسان العماني وتفوقه في مهنة الزراعة ومهارته الشديدة في التفنن في استغلال المياه من خلال شق الأفلاج، ويشير القزويني (آثار البلاد وأخبار العباد) إلى أن إرم ذات العماد تقع في منطقة الأحقاف من الجزء الجنوبي الغربي من عمان ثم يقول «لقد أجرى الملك إليها نهراً مسافة أربعين فرسخاً نحت الأرض فظهر في المدينة فأجرى من ذلك النهر السواقي في السكك والشوارع وأمر بحافتي النهر والسواقي فطليت بالذهب».

وعموماً فإن هذه الرواية تقدم دليلاً على تفنن العمانيين في شق الأفلاج بما يؤكد تفاعلهم مع الطبيعة وتفننهم في استخدامها تحقيقاً لخلق مجتمعات مستقرة لديها من الانماط الحضرية ما يقيم دليلاً على أنها مجتمعات غاية في القدم.

لقد كان تاريخ عمان القديم يكتنفه الغموض إلا بقدر ما تسمح به المصادر العربية القديمة وبعض المصادر الأجنبية من معلومات مشوهة أحياناً وغير حقيقية في كثير من الأحيان.

ومنذ عصر النهضة العمانية المعاصرة بدأت البعثات العلمية للتنقيب عن الآثار زمارس عملها وتوصلت إلى نتائج علمية على درجة كبيرة من الأهمية، لعل من أهمها اكتشاف مجتمعات عمرانية وجدت على الساحل العماني الشرقي والغربي ترجع إلى الألف السادسة قبل الميلاد، وكشف النقاب عن مجتمعات أخرى في موقع (القرم) قرب (مسقط) تعود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، حيث عثر على مقابر وبقايا أطعمة وامتعة شخصية تشير إلى أن سكان هذا الموقع كانوا يمارسون حرفة الصيد بينما احترف بعضهم مهنة قنص الغزلان من النوديان في المناطق الداخلية من عمان وعثر على حلي للرجال والنساء بما يؤكد بلوغ درجة ما من التقدم التقني والحضاري.

وقد كشفت التقارير العلمية، التي نشرت عام (١٩٨٧م) عن محصلة التنقيبات الأثرية التي أجريت في المنطقة الوسطى من الباطنة لتؤكد وجود مجتمعات قديمة لها نشاطها الاقتصادي والسياسي المنظم ولها علاقاتها الخارجية مع العديد من الدول الأخرى، ففي دراسة نشرها كل من ب كوستا، ت. ج. ولكنسن حول منطقة صحار قدم المؤلفان معلومات وافية عن المجتمعات التعدينية والزراعية والتجارية للمنطقة التي ترجع أصولها التاريخية إلى مراحل بعيدة من العصور القديمة امتدت إلى العصور الإسلامية.

كما قدم الباحثان (كوستا وولكنسن) تقريراً علمياً دقيقاً يؤكد وجود مناطق تعدينية لاستخراج النحاس خلف المنطقة الزراعية بنحو خمسة وعشرين كيلومتراً على سفح جبال الحجر الغربي ودل العثور على آثار حجرية في المنطقة بما يؤكد قيام مجتمعات صغيرة في مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد وقد أكدت الدراسة استمرار استغلال هذه المناجم إلى العصور الإسلامية.

كذلك أكدت الدراسات البحثية التي أجريت في العراق عن استخدام النحاس منذ القرن الرابع قبل الميلاد وأضافت هذه الدراسات أنه كان ينقل من عمان عن طريق الرحلات البحرية



٢ - مجان

أجمع المتخصصون في الدراسات المسمارية القديمة أن الاسم الحديث لمجان القديمة هو عمان وأن نجار بلاد وادي الرافدين قد استوردوا من (مجان) حجر الدايوريت وأن السفن العمانية كانت تجلب هذا الحجر بطلب من التجار العراقيين منذ عام (٢٣٤٠/٢٢٨٤ ق.م) وقد فضله العراقيون على الذهب، حيث صنعوا منه الاختام الأسطوانية والأوزان بسبب صلابته الشديدة وندرته في العراق لكي يسدوا الطريق أمام المتلاعبين بالأوزان والاختام، إضافة إلى ذلك فقد قام نجار ملوخوا بتوريد الأخشاب إلى العراق، حيث يختارون الأنواع الجيدة وينقلونها من الهند إلى العراق وأن العلامات المسمارية التي كتبت بها مدينة مجان قد اكدت شهرة المدينة بصناعة السفن التجارية لأن اسمها كان يكتب بالعلامتين (ما) التي تعني سفينة و(جان) وتعني هيكل وبذلك يكون معنى الاسم كاملاً «هيكل السفينة». ومما يضاعف من هذا الاعتقاد هو أن عمان خلال الفترة العباسية وحتى أوائل القرن التاسع عشر كانت مشهورة بصناعة السفن. وبناءً على هذه الحقائق يمكننا القول بأن (مجان) هي التي كانت تزود دلمون (البحرين) بالسفن وتزود غيرها من المراكز التجارية في الخليج العربي خلال العصور القديمة.

٣ - جوبن

لقد ورد في كتابات الحاكم كوديا (٢١٤٤/٢١٢٤ ق.م) اسم مدينة جوبن مباشرة بعد مدينة ملوخوا ومجان وذكر بأنها موطن شجر الخالوب (البلوط) وهذا النوع من الأخشاب كان يستورد من مجان، لذلك فقد حدد علماء الدراسات المسمارية موقع مدينة (جوبن) في منطقة الجبل الأخضر لأن هذه المنطقة هي المنطقة الوحيدة في جنوب شبه الجزيرة العربية التي تمتلك أشجار يحتاج العراق إلى أخشابها، علماً بأن اسم هذه المدينة لم يذكر في المصادر المسمارية التي سبقت فترة حكم الأمير كوديا، لذلك فمن المرجح أن هذه المدينة قد بدأت تلعب دورها التجاري في الربع الأخير من الألف الثالثة قبل الميلاد وقبل هذا التاريخ كانت مجان تقوم بمهمة تصدير أخشابها.

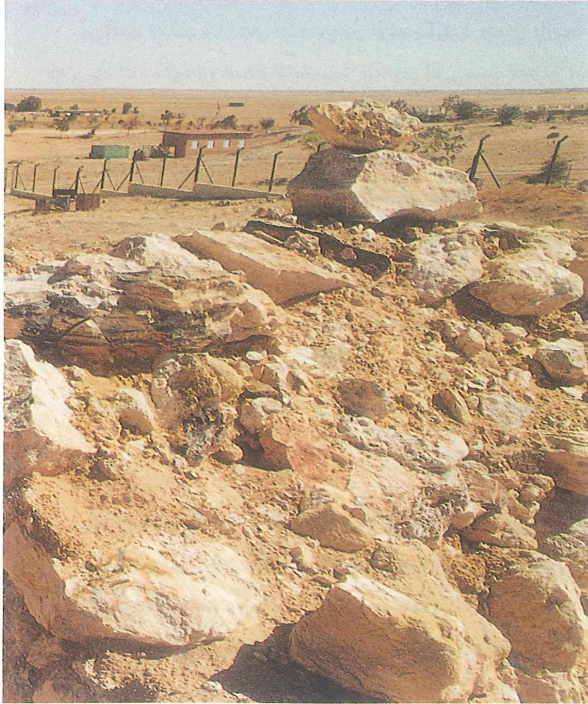
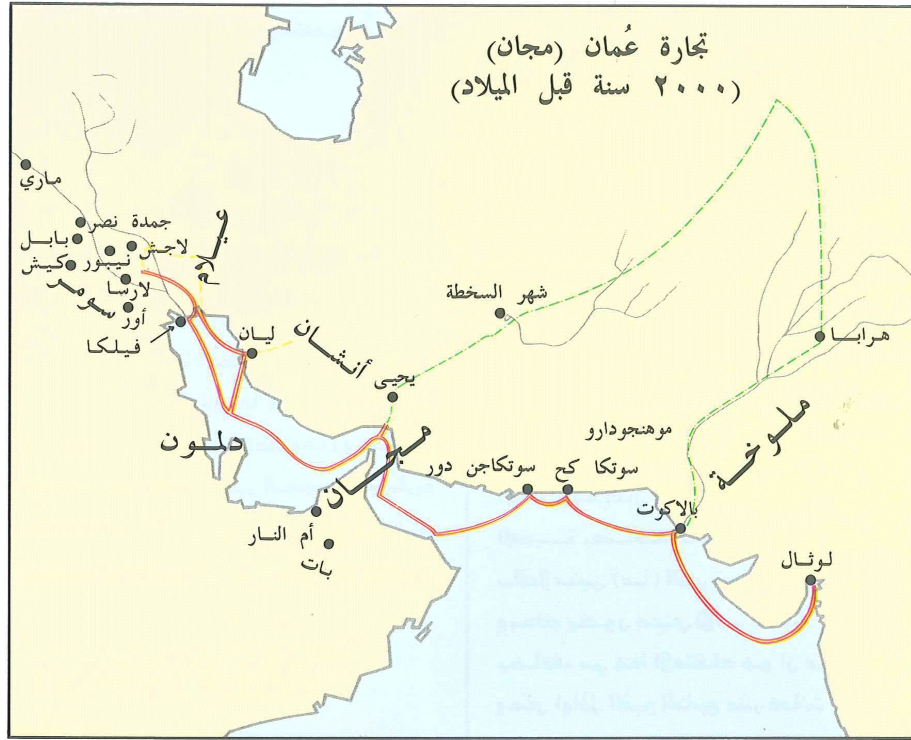
عمان في النصوص المسمارية القديمة

من الحقائق التاريخية أن عمان كانت لها علاقات تجارية ببقية مدن الخليج العربي قبل أن يتكون القسم الجنوبي من العراق في حدود (٥٠٠٠ ق.م) وأن سفناً عمانية كانت تأتي إلى المدن العراقية القديمة وعندما بدأ يتكون هذا القسم وبدأت قراء الزراعة تتحول تدريجياً إلى مدن برزت حاجته إلى الأحجار والنحاس والأحجار الكريمة، لذلك بدأت سفن (مجان) تأتي بتجاريتها إلى المدن العراقية لبيعها هناك ولهذا السبب فقد سمح حكام جنوب العراق لسفن (ملوخوا) و(مجان) و(دلمون) بأن ترسو في موانئهم، وتشير النصوص المسمارية إلى أن مدناً عمانية كان لها الباع الطويل في العلاقات التجارية بين العراق وبقية مدن الخليج قبل ظهور النشاط البحري للسومريين ومن أهم هذه المدن:

١ - ملوخوا

إن اسم (ملوخوا) في النصوص المسمارية يعني (المواد كثيرة النقاوة) وهذه التسمية تنسجم إلى حد كبير مع نوعية المواد التجارية التي استوردتها سكان بلاد وادي الرافدين من مدينة (ملوخوا) وهي الاسم القديم لمنطقة رأس الحد، حيث ذكر الملك سرجون الأكادي بأنه قد استورد من ملوخوا خشب الساج وحجر المرمر، كما ذكر الأمير كوديا (٢١٤٤/٢١٢٤ ق.م) بأنه قد استورد من ملوخوا الأحجار الكريمة والملابس وحجر اللازورد ومعدن النحاس والزنك والذهب، وهذه المواد تتميز بالصفاء والنقاء والجودة لذلك سميت هذه المدينة (ملوخوا) أي «المواد كثيرة النقاوة».

وتؤكد الدراسات المسمارية القديمة أن حجر اللازورد كان ولا يزال موجوداً في أفغانستان وأن العراقيين لم يستوردوا هذا الحجر بأنفسهم وإنما من خلال (ملوخوا) والتي كان يعمل نجارها كوسطاء لتزويد العراق بهذا النوع من الحجر.



الآثار ... تحكي قصة حضارة عمانية عريقة.

وتؤكد الدراسات المسماية ان تجارة الخليج العربي في العصور القديمة كانت قاصرة على عمان والعراق أما بقية المهن الأخرى فقد كانت بمثابة محطات لرسو السفن فقط.

ظفار ونجارة اللبان في العصور القديمة

لعبت ظفار دورا حضاريا فاعلا في التاريخ القديم بحكم كونها مصدرا أساسيا للبان والصمغ اللذين كانا في مقدمة السلع التي تخلص باهتمام كبير في العالم القديم مما اثار اهتمام المؤرخين القدامى منذ عام (٤٠٠ ق.م) بداية من هيروdot وبيبليني وبطليموس وانتهاء باسترابو وديودورس وجميعهم قد خلقوا لنا انطبعا عن أهمية اللبان والصمغ في تجارة العالم القديم وقد أجمعوا على ان الطلب على اللبان كان لا يضاويه طلب على أية سلع تجارية أخرى.

الهملها

المسمارية القديمة إلى أن العراق قد اعتمد على اللبان والصمغ الذي يأتي من ظفار، ومنذ حوالي (5000 ق.م) كانت طلبات العراق تتزايد على البخور والطور والصمغ القادم من بلاد ظفار، ومنذ عام (2000 ق.م) شهدت المنطقة انقلاباً هائلاً في مناخها، حيث أخذت البيئة تتجه نحو التصحر والجفاف مما ألحق ضرراً كبيراً بأشجار اللبان مما دفع سكان ظفار إلى العناية بالجمال واستئناسها لاستخدامها في نجارة القوافل البرية وقد أثبتت الكشوف الأثرية أن نجارة القوافل البرية صارت حقيقة ثابتة بحلول عام (1500 ق.م).

وبحلول العصر البرونزي والعصر الحديدي ازدهرت منطقة شحر التي شهدت مجتمعات عمرانية هائلة وخلال العصور الوسطى اشارت الكثير من المصادر إلى أهمية شحر ونشاط سكانها في نجارة البخور والخيول، ويبدو أن شحر لم تفقد أهميتها التجارية إلا مع بداية القرن السادس عشر الميلادي حيث هجرها أهلها إلى مناطق أخرى مجاورة.

وقد كان ميناء رأس فرتاك (جبل القمر) هو الميناء الذي يصدر منه اللبان والصمغ إلى أنحاء متفرقة من العالم القديم، أما الطريق البري فقد كان يبدأ من غرب ظفار إلى جنوب الجزيرة العربية ثم شمالاً إلى نجران حتى غزة ومنها إلى مصر ومن أهم الطرق التي ذكرها الجغرافيون القدماء الطريق الذي يربط ظفار بشرق الجزيرة العربية حتى بلاد سومر في العراق.

لقد اشار المؤرخون المسلمون إلى (أوبار) وحددوا موقعها شمال ظفار بينما أشار إليها نشوان بن سعيد الحميري وحدد موقعها في المنطقة التي تقطنها قبيلة عاد (المنطقة الشرقية من اليمن) ويبدو أن (أوبار) أو (وبار) لم تكن اسماً لمدينة وإنما كانت أرضاً واسعة وتحديد موقعها في ظفار سيظل موضع جدل لم يحسم بعد.

لم يكتف العثمانيون بتصدير اللبان وإنما أضافوا إليه الشحوم وصنعوا منه البخور الذي كان يستخدم في الطقوس الدينية والعلاج والتطيب وشكل هذا المنتج أهمية كبيرة في حركة التجارة خلال العصر الحجري الحديث، وتشير الدراسات

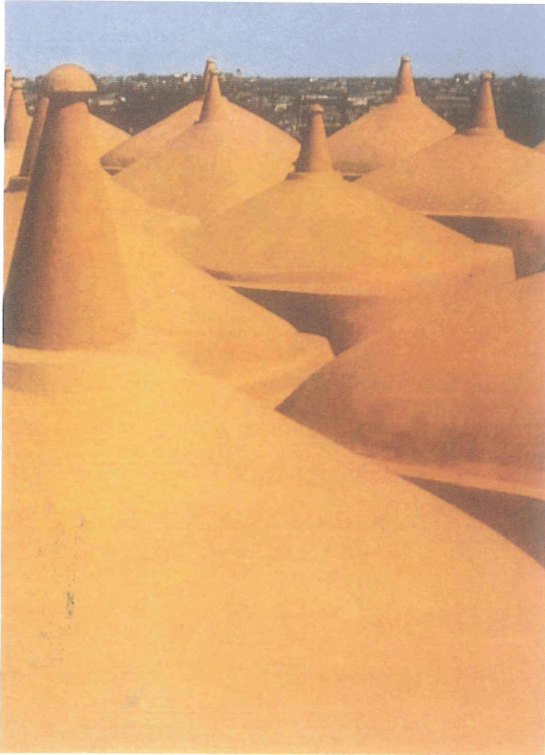




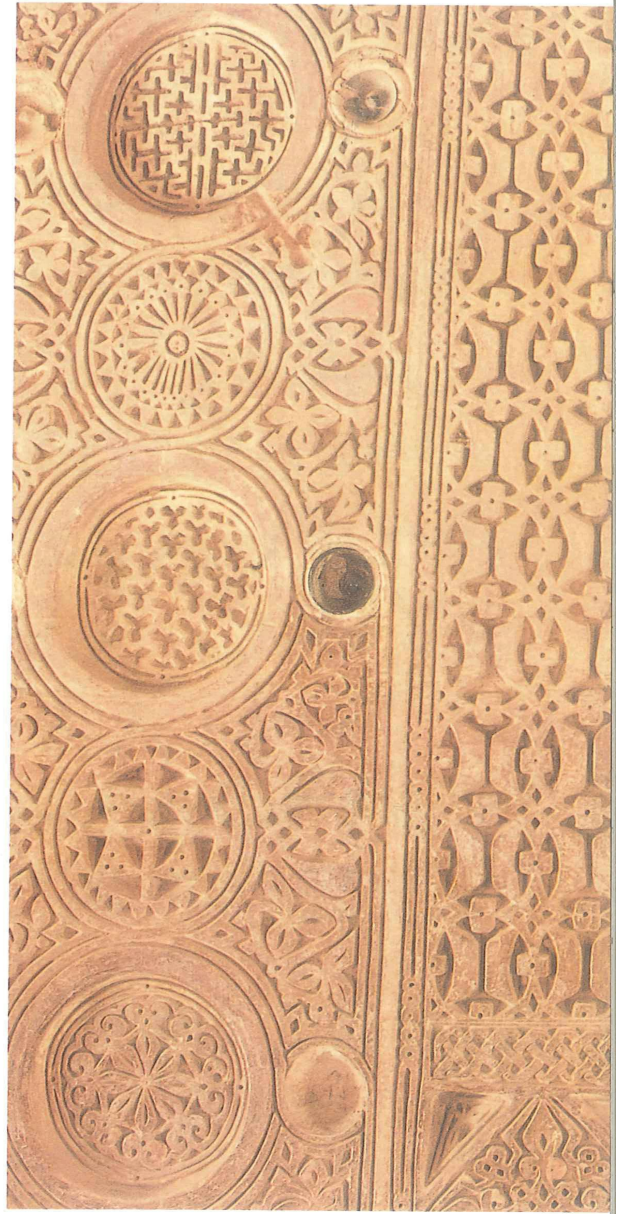
إسلام أهل عمان



من روائع الفن العماني الإسلامي.



القباب تزین المساجد العمانية بجعلان بني بو علي.



بسم الله الرحمن الرحيم
 من محمد رسول الله
 الذي خسرني وعتابني إلى الجحيم
 وسلام علي من واسع العبد
 اعلم اني اذعوكم كما
 علمه الاسلام اسلمنا سلفنا
 من رسول الله الذي الناس
 خافه لا تدرون من كان
 وكفى المؤمن علي الكافر
 فاني اذعوكم ان افروا من
 سلام وليكم واني اسلمنا
 فان ملككم واني اسلمنا
 كل من اسلمكم واني اسلمنا
 من علي ملككم واني اسلمنا



قلنا: مؤمنون، فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال: إن لكل قوم حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم، قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره شيئاً منها فنتركه. فقال عليه الصلاة والسلام: ما الخمس التي أمرتكم بها رجلي أن تؤمنوا بها؟ قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال: والخمس التي أمرتكم رجلي أن تعملوا بها؟ قلنا: أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلاً، قال: وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟ قلنا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشمانية بالأعداء فقال: حكما وعلماء كادوا من فقهم أن يكونوا أنبياء، ثم قال: وأنا أزيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة. إن كنتم كما تقولون (أي متصفين بالخمس عشرة التي ذكرتم) فلا تجمعوا مالا تاكلون ولا تبنيوا مالا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلصون. فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه السلام، لذا فلا عجب أن نجد الرسول الكريم يدعو لأهل عمان قائلا: (رحم الله أهل الغبراء (أهل عمان) آمنوا بي ولم يبروني).

وما كانت دعوة الرسول لأهل عمان بالخير إلا لأنه صلى الله عليه وسلم كان قد استوثق من إسلامهم إسلاما خالصا مخلصا من كل شائبة. ونجمع الروايات التاريخية على أن العمانيين قد استجابوا لدعوة الرسول دون تردد أو خوف وحينما توفي الرسول عليه السلام غادر عمرو بن العاص عمان مطمئنا إلى حسن إسلام العمانيين فعاد إلى المدينة وصحبه وقد من العمانيين كان على رأسهم عبد بن الجندب أحد ملكي عمان وجعفر بن جشم العتكي وأبو صفرة سارق بن ظالم وعندما قدموا على مجلس أبي بكر الصديق قام سارق بن ظالم وقال: يا خليفة رسول الله ويا معشر قريش هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا ووديعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد برئنا إليكم منها. وخطبهم الصديق قائلا: معاش أهل عمان إنكم اسلمتم طوعا لم يطمأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ولا عصيتموه كما عصيه غيركم من العرب، ولم ترموا

لقد اختلفت الروايات التاريخية حول التحديد الزمني لدخول الإسلام في عمان، فبينما تشير الكثير من المصادر إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي بادر بدعوة حكام عمان إلى الإسلام وهما جيفر وعبد ابن الجندب، بيد أن الذي اختلف عليه المؤرخون هو تحديد الفترة التي بعث فيها الرسول إلى حكام عمان، حيث تذكر بعض الروايات أن ذلك قد حدث عام ٦هـ، بعد صلح الحديبية إلا أن رواية أخرى تحدد تاريخ المراسلة بعد فتح مكة عام ٨هـ وتذهب رواية ثالثة إلى أن ذلك قد حدث عقب حجة الوداع.

ويمكن القول أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اهتم بتوسيع رقعة الإسلام عقب فتح مكة وزوال المقاومة القرشية، حيث أصبح الإسلام هو القوة الكبرى في بلاد العرب عند ذلك أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسالة إلى ملوك الدول المجاورة ومن هؤلاء ملوك عمان: جيفر وعبد ابن الجندب.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل كتابا مع أبي زيد الأنصاري إلى الجندب أو إلى جيفر عام (٦هـ) ثم بعث بكتاب آخر مع عمرو بن العاص عام (٨هـ)، وكتابا ثالثا إلى أهل عمان رواء أبو شداد الدماثي من أهل دما قال: جاءنا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم في قطعة آدم: (من محمد رسول الله إلى أهل عمان، أما بعد، فاقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدوا الزكاة وخطوا المساجد وإلا غزوتكم) وهناك كتاب رابع تسلمه عبدالله بن علي الثمالي ومسلمية بن هزان، حينما قدما في رهط من قومهما على الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلموا وبايعوا على قومهم وكتب الرسول لهم كتابا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم.

ونتيجة لهذه الكتب ونتيجة لاتصال بعض أهل عمان المباشر بالرسول صلى الله عليه وسلم أفرادا وجماعات انتشر الإسلام في عمان انتشارا واسعا ساعد على ذلك أن محمدا عليه السلام قد جعل حكم عمان بيد أبناء الجندب في حالة اعتناقهم الإسلام وفوض ابن العاص في جمع الزكاة من أغنياء البلاد وتوزيعها على من يحتاجها من الفقراء والمساكين.

وقبل أن وفدا من الأزد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى أبو نعيم عن سويد بن الحارث رضي الله عنه قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله فلما دخلنا عليه وكلناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال: ما أنتم،



على حماية حدود الدولة العربية الإسلامية من جهة الخليج بل شاركوا في الفتوحات الإسلامية على الجبهة العراقية وبلغ من كثرة الازد العمانيين أن خصص لهم حي خاص بهم في البصرة بعد إنشاء المدينة في زمن عمر بن الخطاب.

ومن عمان انطلق عثمان بن ابي العاص ليغزو الهند وتشير المصادر التاريخية إلى أن دولة الخلافة وخاصة في العصر الراشدي والاموي قد اعتمدت على عرب عمان في غزو الهند، فنجد اسماء كثيرة من العمانيين في قيادة الحملات العسكرية في مكران والسند، بل إن الحملات التي غزت الهند في زمن معاوية بن أبي سفيان قد ضمت كثيرا من العمانيين قاطني البصرة، بل والمثير أيضا انه حينما اسند معاوية قيادة ثغرة الهند إلى راشد بن عمرو الحديدي (٦٤٨هـ/٦٦٧م)، وبوصول راشد إلى هذا الثغر لقي سنان بن سلمة في اشراف من عرب عمان واعجب راشد كثيرا بشخص (سنان) واتى على اخلاقه وتوطدت بينهما صداقة نجم عنها تعاون كامل بين القوات الاموية والقوات العمانية التي كانت تحت قيادة سنان وكانت تقوم بنفس المهمة التي كانت تقوم بها قوات راشد ونمكنت القوات العربية من اجبار سكان جبل (الباية) من دفع الجزية وحقت نصرا آخر داخل أرض (القيقان) أسفرت عن كثير من الفتي والغنائم ثم دخلت القوات العربية ولاية سجستان (سيستان) ووقعت معركة غير متكافئة حشد فيها الهنود أكثر من خمسين ألف مقاتل واستشهد راشد بن عمرو وتولى بعده سنان بن سلمة.

وفي الفترة ما بين (٦٥ - ٧٨هـ) ظهرت في منطقة ثغر الهند قوة عربية لا تدين لنفوذ الامويين وهي قوة (معاوية) ومحمد ابني الحارث اللافييين) وهما كما ذكر البلاذري من ازد عمان وقد نجحت هذه القوة في السيطرة على مكران والسند على مدى ثلاث عشرة سنة.

وقد شهد ثغر الهند كذلك مأساة أبناء المهلب بن أبي صفرة وأسرت، فتذكر المصادر أنه اثر الصدام بين يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، الذي كان واليا على العراق وسليمان بن عبد الملك منذ (٩٦هـ/٧١٥م) وبين جيوش يزيد الثاني بن عبد الملك بن مروان (١٠٢هـ/٧٢٠م) فر الناجون من القتل من أبناء المهلب وهم مدرك، والمفضل، وعبد الملك، وزباد، ومعاوية ومن بقى من آل المهلب وركبوا البحر إلى قنابيل (حاليا GAVDAV في باكستان) ولكن خيانة (وداع بن حميد

بفرقة ولا تشتت شمل، فجمع الله على الخير شملكم ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فاجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم فأبي فضل أبر من فضلكم وأبي فضل أشرف من فعلكم كفاكم قوله عليه السلام شرفا إلى يوم الميعاد ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرما ورحل عنكم إذ رحل مسلما. وقد من الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجلندي واعزكم الله به واعزه بكم ولست اخاف عليكم ان تغلبوا على بلادكم ولا ان ترجعوا عن دينكم، جزاكم الله خيرا.

والحق أن خطبة أبي بكر الصديق في الوفد العماني هي بمثابة وثيقة خطيرة الشأن في حسن أخلاق العمانيين وكرم وفادتهم وحسن إسلامهم وثباتهم على الحق.

ولما توفي الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه أقر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عبد وجيفر على عمان ومنحهما الحرية الكاملة في تصريف شؤون بلادهما الداخلية على أن تبقى في إطار النظام العام للدولة الإسلامية. وبعث عثمان بن أبي العاص الثقفي عاملا من قبله ليتولى جمع الصدقات والزكاة على ان يترك شؤون عمان الداخلية للاخوين عبد وجيفر اكراما لهما على حسن إسلامهما.

العمانيون والفتوحات الإسلامية

لقد قام العمانيون بدور رئيسي في حركة الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان لهم الفضل في حماية الحدود الجنوبية الشرقية من الدولة الإسلامية عندما تصدوا ببسالة لمحاولات الفرس للاستيلاء على بعض مناطق الخليج.

وتذكر المصادر أن الخليفة عمر بن الخطاب عقب معركة جلولاء (٦٦هـ/٦٣٧م) أرسل عثمان بن أبي العاص الثقفي لمحاربة الفرس الذين حاولوا عبور الخليج إلى الشاطئ العربي. ولبس العمانيون دعوة الجهاد واجتمع لعثمان نحو ثلاثة آلاف مقاتل. وعبر بهم عثمان من جلفار إلى جزيرة ابن كاوان حيث أجبر قائد حاميتها الفارسي على الاستسلام وأرسل كسرى الفرس إلى واليه في كرما يأمره بالسير لمقاتلة العمانيين وطردهم من الجزيرة ولكنه هزم هزيمة منكرة وقتل قائد الحملة الفارسي وكان هذا الانتصار حاسما لدرجة أن الفرس لم يعاودوا المحاولة مرة أخرى. ولم تقتصر جهود العمانيين



والإبنوس ووردت اشارات كثيرة إلى وصول السفن العمانية إلى سنغافورة أو كما كانت تسمى (صنابور).

لقد نجم عن هذا النشاط العماني أن تكونت جاليات ومدناً عمانية في بلاد الملايو وفي غيرها من جزر الأرخبيل وامتد النشاط العماني إلى بلاد الصين، حيث وصلت رحلاتهم إلى خانفو (كانتون) وتعاضم دورهم بشكل ملحوظ في القرن الثالث الهجري ووصلوا إلى أقصى شمال الصين إلى مدينة قانصو وبلاد الشيلا التي يعتقد أنها كوريا أو اليابان ومن أوائل التجار العمانيين الذين وصلوا إلى بلاد الصين أبو عبيدة عبدالله بن القاسم الذي وصل إلى كانتون حوالي (١٣٣هـ / ٧٥٠م)، والذي يعتبره البعض أول إنسان عماني يصل إلى الصين بينما يعتبره المؤرخون الصينيون أول عربي مسلم يصل إلى هذه البلاد.

وكان من مظاهر ارتفاع شأن الإسلام والمسلمين في بلاد الصين ما يرويه لنا ابن بطوطة وكذلك الشريف تاج الدين السمرقندي الذي زار الصين في القرن الرابع عشر الميلادي من أنه رأى المسلمين يحظون بقدر كبير من الاحترام والتقدير لدرجة أنه إذا قتل وثني صيني مسلماً كان الوثني يقتل هو وأهل بيته وتصادر أمواله، وأن قتل مسلم وثنيا لا يقتل به بل

الازدي) عامل الامويين في قنابيل قد أودت بأل المهلب من خلال ملحمة دموية رهيبة.

وإذا كان عرب عمان لهم دورهم الكبير في نشر الهند كمحاربين وبحارة إلا أن دورهم الحضاري كدعاة ومبشرين بالإسلام كان هو الدور الفاعل والهام نظراً لكونهم أكثر التجار المسلمين معرفة بالهند وثقافتها وأكثر العرب وروداً على هذه البلاد، لذا فقد أقاموا مؤسساتهم التجارية والثقافية ليس في الهند فقط بل في الجزر المحيطة بها مثل سرنديب (سيلان)، التي نجح العمانيون في نشر الإسلام فيها منذ وقت مبكر ولولا التدخل البرتغالي مع بداية القرن السادس عشر لكانت هذه الجزيرة قد تحولت جميعها إلى الإسلام، كما حدث في جزر المالديف التي عرفها العمانيون منذ فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي.

لم يتوقف العمانيون عند الهند وسرنديب والمالديف وإنما امتد نشاطهم التجاري والحضاري عبر خليج البنغال إلى أرخبيل الملايو التي أسماها العمانيون (كله) أو (كله بار) وكانت السفن العمانية تأتي إلى أرخبيل الملايو بقصد التجارة والمرور منها إلى بلاد الصين وأن ميناء (كله) كان مجمعاً لامتعة من أعواد الكافور والصندل والعاج والرصاص والقصدير



العمانيون محاربون أقوياء وفاتحون أوفياء.



وتشير المصادر التاريخية القديمة إلى أن العمانيين مع نهاية القرن الثالث قبل الميلاد قد هلكوا اعظم اسطول بعد قرطبة وكان وسيلة فاعلة في نقل حضارة ميناء بابل وسوسة إلى الهند وفارس وعن تلك الحضارات أخذ الهنود علوم الفلك والفلسفة والرياضيات والتنجيم وكل معالم الحضارة والتقدم، وكان ذلك قبل العصور اليلينستية بعدة قرون.

لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا ما قلنا أن قوة عمان تاريخيا من قوة بحريتها والعكس وقد ورد في كتابات بطليموس عن عمان أن مجدها وشهرتها التي كانت مصدر فخرها، ازها جاءت عن طريق ما كانت تقوم به من نشاط بحري وملاحي وليس عن طريق النشاط البري.

لقد سعى الفرس لمناقسة العمانيين في عهد دارا الكبير (٥٢١ - ٤٨٥ ق.م) إلا أن العمانيين بما اتصفوا به من عزيمه وتصميم قد تصدوا لهذه المحاولات وافشلوا خطط الفرس كما لم يؤثر على نشاطهم البحري اكتشاف ملك مصر الهيليني (بطليموس السابع) للطريق البحري المباشر بين مصر والهند اعتمادا على الرياح الموسمية.

وعندما ظهر الرومان كقوة عالمية ما بين عام (٥٠ وحتى ٢٠٠ م) لم يؤثر ذلك كثيرا على نشاط البحرية العمانية وبظهور الدولة الساسانية في فارس عام (٢٢٥ م) دخلت في منافسة مع البحرية العمانية فأسسوا أسطولاً قويا احتلوا به اجزاء من شرق وجنوب الجزيرة العربية ومنها عمان إلا أن العمانيين تصدوا لهم، بعد أن استعادوا قوتهم ثم تعقبوهم على الشواطئ الفارسية واحتلوا السواحل والمناطق الجنوبية منها.

ومع نهاية القرن السادس الميلادي ظهرت قوة بحرية مؤلفة من الفرس والاحباش واليونان والصومال بهدف تنحية العمانيين عن السيادة البحرية مما دفع بالعمانيين للتصدي لهذه القوى وخاصة الاحباش الذين كانوا يحتلون اليمن. ونتمكن العمانيون من انزال هزائم متكررة بهذه القوى نجم عنها عودة السيادة العمانية على البحار الشرقية.

كذلك يرجع إلى العمانيين الفضل في انشاء أول قوة بحرية إسلامية في الأندلس تعمل لحسابها الخاص بالجهاد البحري أو بالتجارة ما بين المغرب والأندلس في وقت لم يكن الامويون في الأندلس قد اصطنعوا سياسة بحرية، فقد كان معظم طوائف البحريين الذين يرباطون على السواحل

يطالب بدفع ديته التي كانت لا تزيد عن تقديم حمار لورثته. وإذا كان العمانيون قد ساهموا بشكل فعال في التمكين للإسلام في بلاد آسيا فإن العمانيين أيضا شاركوا في الفتوحات الإسلامية في الجناح الغربي من العالم الإسلامي، إذ تذكر المصادر التاريخية أنهم شاركوا في فتوح المغرب والأندلس وقد افاد معاوية بن أبي سفيان من خبرتهم عند شروعه في انشاء اسطول بحري وكان لنواخذتهم براعة في قيادة السفن المعروفة بالتيرماهيمية إلى الهند ومياه بحر الزنج وهذا يفسر اعتماد معاوية بن أبي سفيان على الأزد في قيادة اسطول المسلمين في عهده فظهرت شخصية جنادة بن أبي أمية الأزدي الذي غزا قبرص ورودس وسفيان بن مجيب الأزدي الذي حاصر طرابلس الشام من البحر ونهكن من افتتاحها سنة ست وعشرين للهجرة.

ملاح من الحضارة العمانية خلال العصور الإسلامية

العمانيون ربانة البحار

لقد كان للموقع الجغرافي العام الذي تشغله عمان اعظم الاثر فيما احرزه الملاحون العمانيون منذ أقدم العصور التاريخية من شهرة بحرية، ذلك أن هذا الموقع ما بين مخرج الخليج العربي ومدخل بحر الهند الأعظم على الطريق التجاري الرئيسي المؤدي غربا إلى السواحل الشرقية لإفريقيا، وشرقا إلى الهند وماليزيا والصين، ونظرا لصعوبة الاتصال بالبر بالمناطق المجاورة كالبحرين وحضرموت، لذا فقد تطلع العمانيون نحو البحر.

وقد سعى العمانيون للحصول على الزرق، لذا فقد ارتادوا البحار سعيًا وراء التبادل التجاري مع الشعوب المجاورة ويعتبر البحارة العمانيون في طليعة رواد البحار والمحيطات منذ العصور التاريخية القديمة وكانوا من أوائل الشعوب القديمة التي استخدمت الصاري والشرع، لذا فلا غرابة أن تصف المصادر السومرية القديمة أهل عمان برواد الملاحة البحرية، وكان السومريون يطلقون على بلاد عمان قبل أربعة آلاف سنة اسم مجان كما ورد ذكرهم كبنائين للسفن في عهد شلجي (SHULGA) حوالي (٢٠٥٠ ق.م).

العمانيون دعاة الاسلام في آسيا وافريقيا

يقال أن أول بعثة إسلامية وفدت على الصين كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت تتألف من ثلاثة أشخاص، توفي منهم اثنان أما الثالث فقد أرسى أول مسجد في الصين عرف بمسجد (الذكرى)، كما أقيم في خانقو أول مسجد سنة (٦٢٧هـ)، كان يسمى مسجد (المنارة المنورة) وبذلك يكون قد انشيء بعد مسجد قباء بالمدينة المنورة بخمس سنوات.

ويذكر الصينيون أنفسهم أن بداية انتشار الإسلام بينهم كان في عهد الملك الصيني (تاي نسونغ) (٦ - ٣٠هـ) فقد دخل الصين في عهده رجل من آل البيت كان ابناً لحمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم يصحب معه ثلاثة آلاف مهاجر. ويقال أن الخليفة عثمان بن عفان قد بعث بسفارة إلى الصين سنة (٣١هـ) استقبلها إمبراطور الصين بكل حفاوة وترحاب.

وسواء أكانت رسائل الإسلام قد وصلت إلى الصين في عهد الرسول عليه السلام أو في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه إلا أن من الثابت أن التجار العمانيين قد لعبوا دوراً هاماً في نشر الإسلام بين الصينيين حيث ارتبط الإسلام بالتجارة وارتبطت التجارة بالدين وكان التاجر العماني يخرج في سفينته ويغيب سنوات عديدة إلى أن يعود إلى بلاده ثانية.

وقد وصلت أسماء بعض التجار العمانيين الذين ارتحلوا إلى الصين في وقت مبكر وكانوا من طبقة تابعي التابعين ومن هؤلاء أبو عبيدة عبدالله بن القاسم الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة وقد عاش في الصين سنوات طويلة إلى أن عاد إلى عمان. وبعده بقليل وصل إلى الصين رجل عماني آخر هو النضر بن ميمون، كان يعيش قبل ذلك في البصرة، وهؤلاء وأمثالهم قد أقاموا في الصين فترات طويلة بسبب نشاطهم التجاري مما اضطرهم في أحيان كثيرة إلى التزوج من صينيات مما ساعد كثيراً في نشر الإسلام.

أما الهند فقد ساهم العمانيون في فتحها بحراً منذ منتصف العقد الثاني للهجرة، حيث قادهم عثمان بن أبي العاص الثقفي والي عمان والبحرين وأغار على سواحل الهند عند تانه، كما وجه أخاه المغيرة إلى خور الديبل عند مصب

الشرقية للأندلس ما بين طرطوشة في الشمال والهرية في الجنوب ويغزون في البحر التيراني ينتسبون إلى الأزد ومنهم بني الأسود.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن ربانة البحار من العمانيين كانت لديهم معرفة وافية بالبحار والمحيطات سواء في البحار الشرقية التي خاض العمانيون بسفنهم مياهها على الرغم من خطورة أمواجها ومضايقتها الجبلية أو المياه الغربية، فقد كان الخليج العربي يتصل بما أسماه العمانيون بالبحر البربري أو بحر الزنج الذي ينتهي جنوباً بجزيرة قنبلو وبلاد سفالة والواق واق من اقاصي أرض الزنج، وقد وصل العمانيون بسفنهم التجارية إلى الساحل الشرقي لأفريقيا واعتادوا الإبحار في البحر البربري وفي ذلك يقول المسعودي: «أهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج، والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري وهم يعرفونه ببحر بربري وبلاد جفوني» وفي موضع آخر من (مروج الذهب) يقول المسعودي: «هؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر (بحر الزنج) من أهل عمان من الأزد، فإذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرناه من الأمواج ترفعهم وتخفضهم فيرنجزون ويقولون:

بربري وجفوني و موجك المجنون

جفوني وبربري و موجها كما ترى

ويلاحظ أن المسعودي قد ركب هذا البحر في إحدى رحلاته من صحر (سنجار) مع جماعة من البحريين كما ركب البحر عائداً إلى عمان عام (٣٠٤هـ) من جزيرة قنبلو.

ويؤكد المسعودي في أكثر من موضع في كتابه (مروج الذهب) على مهارة نواخذة عمان ومقدار سيادتهم على بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة.

لقد كان يربط بين قنبلو وصحر مباشرة طريق ملاحى، هو نفس الطريق الذي سلكه المسعودي في رحلته وكانت الرياح تدفع السفن أحياناً بعيداً عن قنبلو فتتجه رأساً إلى الساحل الإفريقي.



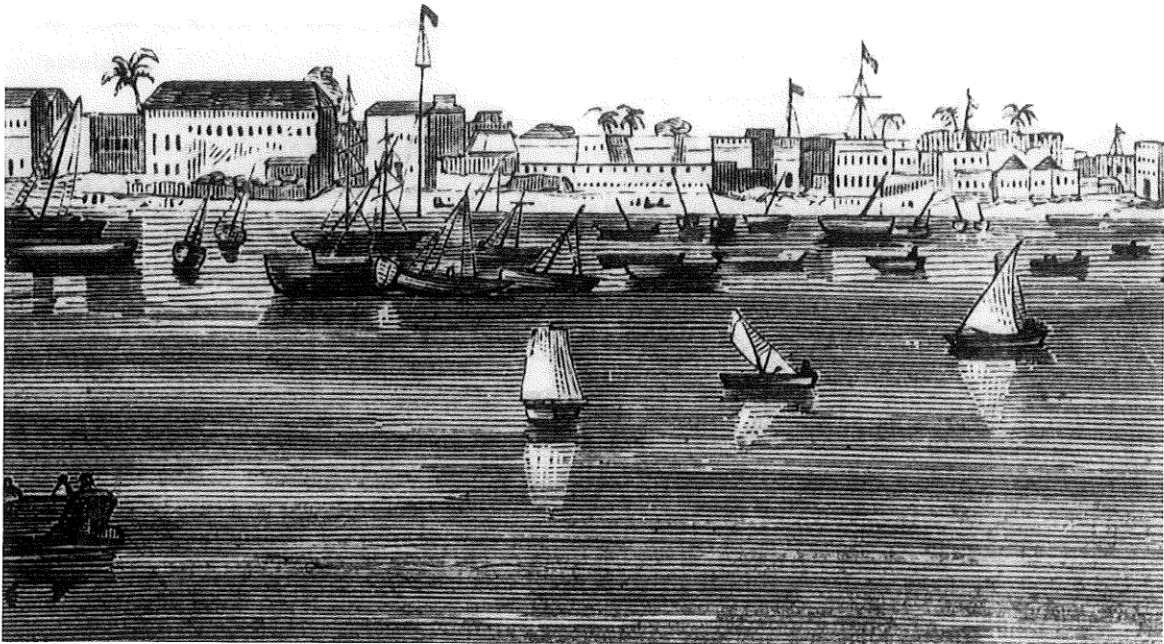
شرق أفريقيا بنفس الأسلوب.

لقد ارتبطت عمان بشرق أفريقيا تجاريا منذ عصر ما قبل الإسلام وأقام العمانيون العديد من المراكز التجارية، ويؤكد مؤلف الدليل الملاحي للبحر الأبيض المتوسط، PERIPLUS, MARIS, ERYTHRAEI كثرة السفن العربية القادمة من شبه الجزيرة العربية وخصوصا من عمان على الساحل الشرقي لأفريقيا، كما يتحدث عن اختلاط العرب وتزاوجهم من القبائل الأفريقية، لم يتوغل العمانيون كثيرا قبل الإسلام داخل اليابس الأفريقي، فقد اكتفوا بالاستقرار على سواحلها الشرقية وإقامة المراكز التجارية وعملوا على مقايضة الفارقة فكانوا يحملون اليهم منتجات الهند والصين في مقابل العاج والذهب. وقيام الدولة الإسلامية تغير الوضع فقد مر أهل عمان في العصرين الأموي والعباسي بظروف سياسية قاسية دفعتهم إلى الهجرة إلى شرق أفريقيا والاستقرار هناك وبناء أمارات عمانية إسلامية.

ويسجل مطلع القرن السابع الهجري هجرات عمانية جماعية إلى شرق أفريقيا، قاد هذه الهجرات التي تعد من أكبر الهجرات العمانية سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني واستقبله العرب في بات استقبالا رائعا وتزوج سليمان من

السند عام (١٥هـ)، كذلك قام العمانيون بالتصدي للقراصنة الهنود على السواحل الإسلامية، وفي جنوب شرق آسيا كان التجار العمانيون يقيمون في المدن الكبرى ويؤسسون المراكز التجارية الهامة مما أتاح لهم فرصة الاحتكاك المباشر بأهل البلاد، ولم ينشر التجار العمانيون الإسلام في أرخبيل الملايو فحسب وإنما وصلوا بتجارهم وإسلامهم إلى جزر الهند الشرقية، وتذكر المصادر أن شيخا عمانيا عاش في بلاد الزابج (سومطرة) وزمك بحكمته وبعد نظره من أن يجبر ملكها على أن يعامل المسلمين معاملة خاصة.

وقد عثر في شبه جزيرة الملايو على مقابر قديمة للمسلمين تحمل نقوشا عربية وخصوصا في جاوه يرجع تاريخ هذه النقوش إلى عام (٤٧٥هـ)، أما المليبار فقد عرفت الإسلام عن طريق جماعة من التجار المسلمين في عام (٢٠٠هـ)، يقال أنهم من عمان وحضرموت، وقد أسلم ملكها وتوفي أثناء عودته لبلاده من رحلة إلى الحجاز ودفن بظفار، ويذكر ابن بطوطة أنه شاهد أثناء زيارته لمدينة فندرينا بالمليبار سنة (٧٤٢هـ) ثلاثة مساجد مقامة بها وكان قاضيها وصاحب الصلاة فيها رجل من أهل عمان. وكما انتشر الإسلام في هذه البلدان على يد تجار كان أغلبهم من التجار العمانيين فإنه انتشر أيضا في



رسم توضيحي لزنجبار في أواسط القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وتبدو المظاهر الإسلامية والطابع العربي والعماني واضحة على المدينة.



من خلال توافد العمانيون والحضارة حتى شاع المثل السواحلي القائل: إذا دقت الطبول في زنجبار تراقص الناس طربا في البحيرات الاستوائية.

ويسجل البرتغاليون تلك المظاهر الحضارية الرائعة التي وجدها على ساحل أفريقيا أثناء مقدمهم مع بداية القرن السادس عشر، حيث يعترف الرحالة البرتغالي دوراث باربوسا قائلا: ما أن وصلت سفن فاسكو دي جاما إلى سفالة حتى فوجئت بما لم أكن أتوقعه، لقد وجدنا موانئ، تطن كذايا النحل ومدنا ساحلية عامرة بالناس، وعالما تجاريا أوسع من عالمنا، كما وجدنا من البحارة العرب رجالا عبروا المحيط الهندي ويعرفون دقائق مرافقه وسجلوا هذه الدقائق في خرائط متقنة لا تقل فائدة عما كانت تعلمه أوروبا.

وإذا كان انتشار الإسلام هو أهم النتائج التي حققها الوجود العماني في شرق أفريقيا إلا أن نتائج رائعة تحققت في المجالين الاقتصادي والاجتماعي وشاعت الطرز الفنية الإسلامية في المنشآت المعمارية والزخارف والنقوش.

ومن الملاحظ أن حركة انتشار الإسلام في المناطق الداخلية ازدادت قوة مع نهاية العصور الوسطى عندما بدأ الغزو البرتغالي للمنطقة، فقد ترك المسلمون السواحل أمام العمليات الوحشية التي مارسها البرتغاليون ولجأوا إلى الداخل مما ضاعف من نشر الإسلام بين القبائل الأفريقية.

ومع منتصف القرن الثامن عشر وخصوصا في عصر دولة البوسعيديين راح الإسلام ينتشر لأول مرة في مناطق جديدة، في أوغندا وأعالى نهر الكونغو ورواندا وبوروندي فضلا عن المناطق الداخلية في تنجانيقا وخصوصا منذ أن أصبحت زنجبار مركز إشعاع إسلامي وحضاري، منذ أن اتخذها السيد سعيد بن سلطان حاضرة الحكم العماني في شرق أفريقيا عام (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م).

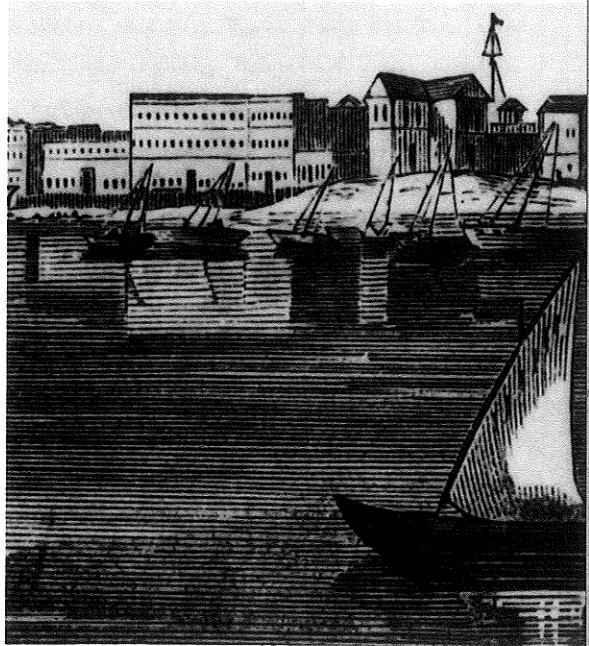
وعن هذه النقلة الحضارية الهائلة في شرق أفريقيا يحدثنا أحد العاملين في حقل الدعوة الإسلامية عن انطباعاته حينما زار شرق أفريقيا في عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٣م) فيقول:

(ما يزال الإسلام هو الدين السائد في زنجبار كلها التي تتميز عن سائر مقاطعات شرق أفريقيا بظاهرتين أولها بروز المظاهر الإسلامية في شتى أنحاء الجزيرة، وثانيهما الطابع العربي في مظاهر المدينة الخارجية كالمباني والطرق ويتعدى ذلك إلى أصالة الإسلام في سكانها بصورة تكاد تشمل جميع السكان على اختلاف أجناسهم. ومما يغني عن

أميرة سواحيلية، هي ابنة الملك اسحاق من سلالة الشيرازيين من مملكة كلوه، وتنازل اسحاق عن الحكم لسليمان الذي أصبح أول حكام أسرة بني نبهان في الساحل الشرقي لإفريقيا وضمت مملكته قسمايو وبراووه ومقديشيو وظلت هذه الأسرة تتعاقب الحكم حتى عام (١١٥٨هـ/١٧٤٥م).

ويسجل التاريخ للعمانيين الفضل الأعظم في صهر الأجناس المتعددة التي كان يتكون منها المجتمع في ساحل شرق أفريقيا في بوتقة الحضارة الإسلامية فبتزاوج العمانيين المهاجرين بأهل البلاد من الإفريقيات امتزجت الدماء والنظم والأذواق امتزاجا ظهرت آثاره في أجيال يتسم أفرادها بسمت عقلية وجسمانية قريبة الشبه بالهلامح العمانية وعرف هذا العنصر الجديد بالعنصر السواحلي، الذي كان يتكلم باللغة السواحلية ويدين بالإسلام عقيدة وأسلوب حياة.

وإذا كان العمانيون لم يتوغلوا كثيرا داخل القارة الأفريقية في عصر ما قبل الإسلام كما سبق القول إلا أنه من الملاحظ أنه منذ العصر الإسلامي والعمانيون يمتدحون في عمق القارة الأفريقية ونتيجة لذلك انتشر الإسلام بين قبائل الجالا GALLA الذين استوطنوا الحبشة. ولم يتوقف الهد الإسلام الذي راح ينتشر حتى منطقة البحيرات الاستوائية





يبتلوا بجهودهم في سبيل نصرته والعمل على توسيع نطاق دولته ومن أجل ذلك فقد وضعوا أسطولهم البحري تحت تصرف المسلمين من أجل الفتوحات الإسلامية ونشر راية الإسلام.

ومع بداية العصر الأموي حدثت زحولات خطيرة في سياسة الأمويين الأمر الذي دفع بأهل عمان لكي يكونوا في مقدمة القوى التي رفضت تجاوزات البيت الأموي، لذا فقد كلّفهم هذا الموقف الشيء الكثير من الرجال مما اضطر عدد كبير منهم إلى الهجرة سواء إلى شرق أفريقيا أو إلى أماكن متفرقة من آسيا.

وفي عهد عبد الملك بن مروان أراد الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق أن يخضع عمان وجرت معركة بحرية في وادي حطاط وما لبث العمانيون أن استعادوا زمام الموقف وقتلوا قائد الجيش الأموي ولأد من بقي حيا بالقرار عن طريق الخليج، وحاول الأمويون غزو عمان مرات عديدة إلى أن تمكنوا من هزيمة سعيد بن عباد الجندى الذي لجأ إلى الجبل الأخضر واستطاع أن يحسم الصراع في البحر، حيث استطاع العمانيون تدمير الأسطول الأموي في مياه عمان.

وعندما نقل العباسيون عاصمة الخلافة الإسلامية، أثر ذلك على البحرية العمانية التي كانت قد وصلت إلى ذروة قوتها في عهد هارون الرشيد وامتنع العمانيون عن دفع الضريبة مما دفع بهارون الرشيد إلى أن يبعث بأسطول بحري ضخم لاختضاع عمان عام (٨٧هـ/٨٠٢م) إلا أن البحرية العمانية استطاعت التغلب على الأسطول العباسي وتقتل قائده فاستشاط هارون الرشيد غضبا وراح يعد العدة لجولة أخرى إلا أن المنية قد عاجلته واستشرى الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون مما شغل العباسيين عن شؤون عمان، ونهض الإمام غسان بن عبدالله اليماني بشؤون عمان وخصوصا الأسطول الذي أخذ يتصدى للقراصنة الهنود الذين نشطوا ضد سفن عمان وغيرها من السفن التجارية، ولما كان العمانيون أقدر من الهنود في الشؤون الملاحية، لذا فقد نجحوا وتعبوا القراصنة إلى الشواطئ الهندية والفارسية.

وفي عهد الإمام المهنا بن جعفر اليماني الخروصي (٢٢٥ - ٢٢٧هـ/٨٢١ - ٨٢٤م) اجتمعت لعمان القوات البحرية والبرية وازدهرت التجارة لدرجة أن الأسطول العماني في عهد هذا الإمام قد وصل إلى ثلاثمائة مركب للعمليات

الإسهاب أن زنجبار وشقيقتها (بيما) تضمان على صغرهما ٣٧٥ مسجدا أي أن لكل مائة شخص مسجدا واحدا باستثناء النساء وقد كانت زنجبار وفي زمن ليس ببعيد منتدئ أفريقيا الشرقية. فقد كانت تلقى الدروس في أروقة المساجد على يد نخبة من الرجال الأفذاذ الذين بلغوا أعلى المستويات العلمية).

لقد انتشر الإسلام في عهد البوسعيديين عن طريق قوافل التجار العمانيين القادمين من زنجبار والمدن الساحلية الأخرى، ومن أهم الدعاة العمانيين الذين أوصلوا الإسلام إلى أوغندا الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري الذي وصل من زنجبار إلى بلاط الملك (سنا) (SUNNA) في مملكة بوغندا، ويعتبر وصول هذا الداعية العماني بداية لدخول الإسلام إلى أوغندا. وتشير المصادر المحلية والأجنبية إلى موقف الشيخ أحمد العامري من الممارسات الهرجية والوحشية التي كانت تتمثل في قتل وسفك دماء الأبرياء من رعايا ملك بوغندا نهشيا مع الطقوس الوثنية الأفريقية، التي كان يعتنقها أهل بوغندا وعلى رأسهم الكابا (الملك)، وتصادف أثناء وجود الشيخ أحمد العامري أن أصدر الملك أوامره بالقيام بهذه المذبحة فما كان من الشيخ أحمد إلا أن وقف متحديا وسط دهشة الحضور مخاطبا الملك قائلا: (إن هؤلاء الرعايا الذين تسفك دماءهم كل يوم بغير حق إنما هم مخلوقات الله سبحانه وتعالى الذي خلقك وأنعم عليك بهذه المملكة).

وكانت دهشة الحاضرين أقوى عندما تميز الملك بضغط النفس وأجاب الشيخ أحمد بأن آلهته هي التي منحت هذه المملكة ودار حوار طويل قلب تفكير الملك لدرجة أنه طلب من الشيخ أحمد أن يعلمه شيئا عن الإسلام. وتشير المصادر بأن الشيخ أحمد استطاع أن يعلمه أربعة أجزاء من القرآن الكريم بعد أن أعلن الرجل إسلامه وهكذا انفتح الباب على مصراعيه ليمهد الطريق أمام انتشار الإسلام في أوغندا والمناطق المجاورة.

صور مضيئة للأسطول العماني خلال العصور الإسلامية

لقد كان العمانيون من أوائل الذين اعتنقوا الإسلام في الجزيرة العربية وأخلصوا له كل الإخلاص، لذلك فأنهم لم

الحربية. وفي عهد الامام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٧ - ٨٨١م) هاجم الاحباش جزيرة سقطرى التي كانت تابعة لعمان وقتلوا الوالي العماني عليها فجهز الامام الصلت اسطولاً بلغ تعداده أكثر من مائة سفينة ونازل الاحباش وتعقبهم في المياه الآسيوية. ويقال ان الاسطول العماني في عهد الامام الصلت قد بلغ نيفاً وثلاثمائة بارجة حربية اضافة إلى القوات البرية التي كانت ترابط في الثغور العمانية.

وعندما سيطر القرامطة على اجزاء من الخليج وكادت الحركة التجارية ان تتعطل في مياهه تصدى لهم العمانيون (٣١٠هـ/ ٩٤٢م) ودمروا اسطولهم تدميراً كاملاً.

وعندما حاول البويهيون اختلال عمان عام (٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) نجحت البحرية العمانية في طرد البويهيين وتعقبهم وأنزل الهزائم بهم.

وفي عام (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) حيث كان الاسطول العماني يمر بفترة من الضعف استغلها امير هرمز محمود بن أحمد الكوستي فوصل باسطوله إلى قلعات وطلب من العمانيين دفع الخراج وعندما رفض العمانيون غضب امير هرمز وهاجم ظفار ونهب أموال أهلها إلا انه لم يستطع القضاء على الاسطول العماني، الذي ظل يسعى في المياه العربية والدولية ولم يواجه منافسة ذات شأن إلى ان ظهر البرتغاليون في بداية القرن السادس عشر الميلادي.

لقد حاول الهماليك والعثمانيون وغيرهم من القوى التي اضررت من الوجود البرتغالي التصدي لهذه القوة الأوروبية إلا ان الاسطول البرتغالي تغلب عليهم جميعاً مما أدى إلى تغير مسار حركة التجارة الدولية من الخليج العربي والبحر الأحمر إلى طريق رأس الرجاء الصالح ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل قاموا بضرب السفن والموانئ العمانية واحراق المهدن الساحلية، وفي قلعات وقرىات وحدهما اباد البرتغاليون ٨٣ سفينة كل ذلك اضعف العمانيين وانهك اسطولهم واقتصادهم واصبح العمانيون بين خيارين اما مجابهة المعتدي أو الاستسلام الذي يعني الموت بالنسبة إليهم.

لقد حسم العمانيون الأمر وقرروا التصدي للمعتدي وحمل راية القيادة الامام ناصر بن مرشد العربي (١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م) الذي ادرك اهمية الاسطول كوسيلة فاعلة لمواجهة العدوان البرتغالي الفاشم، هكذا ادرك

اليعرابة ان قوة عمان ومنعتها تكمن في قوة بحريتها ونهاكس جبهتها الداخلية، وقد اتبع الامام سيف بن سلطان ان يطور من اسطوله ومنذ (١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م) وبعد ان حررت مسقط من البرتغاليين استطاعت عمان ان تبرز كقوة بحرية عالمية وامتد نفوذ عمان السياسي والاقتصادي إلى ما وراء البحار وانتقل الصراع مع البرتغاليين إلى المحيط الهندي.

وابتداءً من القرن الثامن عشر وصل الاسطول العماني إلى درجة من القوة من حيث عدد السفن وكفاءتها والمدايع المتطورة التي حصل عليها العمانيون مما دفع مؤرخي تلك الفترة إلى ان يصفوا الاسطول العماني بأنه من أقوى الاساطيل في البحار الآسيوية.

ولعل عهد السيد سلطان بن أحمد (١٧٩٢م) يمثل نقلة جديدة في الاسطول العماني، وقد وصف الاسطول التجاري في عهده بأنه كان يضم خمس عشرة سفينة كبيرة تتراوح حمولة الواحدة منها ما بين أربع مائة وسبع مائة طن إلى جانب المئات من السفن الصغيرة، أما الاسطول الحربي فكان على جانب كبير من القوة والكفاءة لدرجة ان سفينة القيادة وهي المسماة (جنجانا) كانت ذات حمولة ١٠٠٠ طن وكانت تحمل اثنتين وثلاثين مدفعاً، كما كان الاسطول يضم أيضاً سفن اصغر نسبياً من (جنجانا)، تحمل الواحدة منها عشرين مدفعاً وكل هذه السفن بنيت على الطريقة الأوروبية اضافة إلى مئات السفن الصغيرة، المسلحة تسليحاً جيداً.

وفي عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦م) كان الاسطول العماني يأتي في المرتبة الثانية بعد الاسطول البريطاني وكانت له قواعد رئيسية على الساحل الشرقي للخليج العربي في موانيء بندر عباس وحاسك وشامل ولنجه وقشم ولأراك اضافة إلى موانيء على الساحل العماني، أما الساحل الأفريقي فكان لعمان قواعد بحرية في مباسا ولا مو وكلوه ومقديشو وزنجبار.

يذكر أحد التجار الأمريكيين الذين زاروا زنجبار في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، ان السيد سعيد وصل إلى زنجبار على رأس قوة تتألف من سفينة كبيرة مزودة بأربعة وستين مدفعاً وثلاث فرقاطات مزود كل منها بستة وثلاثين مدفعاً إضافة إلى سفينتين مزودتين كل منهما بأربعة وعشرين مدفعاً وحوالي مائة مركب نقل عليها ستة



آلاف مقاتل.

ويتعجب التاجر الأمريكي متسائلاً: كيف استطاع العمانيون ان يحرسوا هذه الممتلكات الشاسعة، الممتدة من بندر عباس وحتى زنجبار؟

لقد توفي السيد سعيد بن سلطان في المحيط الهندي على ظهر السفينة فيكتوريا أثناء عودته من مسقط (١٨٥٦)، وهي دلالة تحمل معاني كثيرة يصعب تجاهلها كقيمة حضارية في التاريخ العماني.

الحياة العلمية

لم يكن العمانيون بحارة ونجارا ومبشرين بالاسلام عقيدة وحضارة فقط وانما لعبوا دورا كبيرا في الحركة العلمية والثقافية وكان لهم نصيب وافر فيما تركه المسلمون من كنوز علمية، ولا نبالغ إذا قلنا ان العمانيين أول من اعتنى بالتأليف في علوم الدين واللغة ونهضوا مع العلماء في سائر ديار الاسلام لإرساء قواعد الحضارة الإسلامية تلك الحضارة التي غدت العالم وأمدته بسائر العلوم والمعارف.

وتشير كتب المؤرخين الأوائل إلى ظاهرة كثرة العلماء والباحثين والمؤلفين العمانيين.

لقد كان العمانيون أول من ألفوا في الفقه والحديث، منذ القرن الاول الهجري (السابع الميلادي)، حيث كانت صلة عمان بالمدينة المنورة قوية ونزح كثير من العمانيين ونعموا بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء الصحابة العمانيين صار بن العباس العبدي، الذي كتب عنه ابن النديم في كتابه الفهرست وذكر أن له حجة وأنه روى ثلاثة أحاديث، كما ذكره ابن حجر في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» وقد دون (صار) كتابا في الأمثال وصفه ابن النديم بأنه من الكتب الرائدة في فن الأمثال.

وفي النصف الثاني من القرن الاول الهجري ظهرت مدرسة جابر بن زيد الأزدي العماني مؤسس المذهب الإباضي وكانت أول مدرسة نشطة قامت في البصرة، حيث نزح إليها العمانيون وتلقوا العلم على يد شيخها الجليل وعادوا إلى بلادهم ينشرون العلم والمعرفة والفقه والدين.

ولما كان جابر بن زيد من كبار التابعين فقد أخذ الحديث عن عبدالله بن عباس وعن السيدة عائشة أم المؤمنين وعن أنس بن مالك وعن عبدالله بن عمر وغيرهم من الصحابة.

وبالرغم من أن جابر بن زيد قد قضى حياته العلمية في البصرة وفي عصر سلطان الأمويين، حيث كانت يد الحجاج تبش بكل مناوئء لسياسة الدولة إلا أنه التزم برسالته الدينية العلمية وكان يحض تلاميذه على قيام الإمامة العادلة. وألف جابر موسوعته العلمية التي عرفت باسم (ديوان جابر) وذلك في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وقيل ان عبد الملك بن مروان وبنوه استولوا على (ديوان جابر) وحرّموا دراسته أو استنسخه، وقد سجل جابر في هذا الديوان ما سمعه من الصحابة من أحاديث نبوية.

وفي القرن الأول الهجري أيضا ألف سالم بن زكوان الهلالي رسالة سجل فيها آراءه في الولاية وفي كثير من المسائل الفقهية وكان سالم بن زكوان من تلاميذ الإمام جابر ومن العلماء الثقة.

اما في القرن الثاني الهجري فقد برز العديد من العلماء العمانيين، كان في مقدمتهم الربيع بن حبيب القراهيدي العماني الذي ولد في عمان ثم رحل إلى البصرة لطلب العلم وكان الربيع بن حبيب شابا حين التقى بالإمام جابر وكان يقول: أخذت الفقه من ثلاثة: (أبي عبيدة وأبي نوح وضام بن السائب الأزدي العماني)، وقضى الربيع بن حبيب معظم حياته في البصرة طالبا للعلم ثم معلما له، وعاد في أخريات حياته إلى وطنه في عمان وقد كتب كتابه الشهير (مسند الربيع) في البصرة وتوفي عام (١٧٠هـ/٧٨٦م).



صفحة من مؤلفات علم اللغة.



بشكل واضح من خلال عبقرية الخليل بن أحمد الفراهيدي العماني (١٠٠ - ١٧٠هـ/ ٧١٨ - ٧٨٦م) الذي ابتكر علم العروض ومعجم العين والميزان الصرفي. وفي القرن الثالث الهجري ظهر عبقرى عماني آخر هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١هـ/ ٨٣٨ - ٩٢٣م) وكان أعلم الناس باللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها وكان يقال أنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء ولما مات قيل مات علم اللغة، ومن أبرز علماء هذا الجيل أيضاً أبو العباس المبرد (٢١٠ - ٢٨٦هـ/ ٨٢٥ - ٨٩٩م).

أما في الشعر فقد زحرت عمان بالشعراء منذ العصر الجاهلي ابتداءً من مالك بن فهم وحتى مازن بن غضوبة السعدي السمانلي الطائي الذي لحق عصر البعثة النبوية ورحل إلى المدينة حيث أسلم وعاد إلى عمان.

ولم يكن قول الشعر قاصراً على الرجال من العمانيين بل كان بضاعة اشترك فيها النساء العمانيات ومنها قصيدة طويلة قالتها امرأة تسمى (الزهراء) وهي تستغيث بامام عمان الصلت بن مالك من هجومات الإحباش على وطنها (سقطرى) فإغاثها الإمام باسطول استرد الجزيرة وأنزل الهزيمة بالإحباش.

يزخر عصر النباهة بفحول الشعراء وكان بعض ملوك النباهة يقولون الشعر مثل سليمان بن مظفر النبهانى صاحب الديوان الغزالي الحماس كما ظهر شعراء مجيدون في هذا العصر مثل أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي.

وفي عصر البعارة ازدهر الشعر كنتاج طبيعي للحركة السياسية والعسكرية التي نجمت عن هذا العصر ومن الشعراء الذين قالوا شعراً جميلاً خلف بن سنان بن خلفان الغافري الذي وصف انتصارات البعارة على البرتغاليين في عهد الإمام سلطان بن سيف من خلال قصيدة طويلة أوردتها السالمة في زحفته وفي عهد بلعرب بن سلطان ظهر الشاعر راشد بن خميس الجبسي، واستمر الشعر في الازدهار في عصر البوسعيديين وكان بين الحكام البوسعيديين من يقول الشعر السيد سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد والسيد هلال بن الإمام أحمد ابن سعيد.

لقد شملت الحركة العلمية في عمان كل الجوانب وكان لعلم التاريخ نصيب كبير في هذا الفن من ألوان الكتابة التاريخية وألغوا فيه الأسفار النافعة ومن أشهرها كتاب

وفي القرن الثاني أيضاً ظهر العالم الجليل أبو صفرة عبد الملك بن أبي صفرة وقد ألف كتاباً في الحديث (جامع أبي صفرة) وكانت رواياته مأخوذة عن شيخه الربيع بن حبيب عن ضمام بن السائب عن جابر بن زيد.

وفي القرن الثالث الهجري ازدادت مؤلفات علماء عمان في التفسير ومن بينها كتاب (تفسير آيات الأحكام) للإمام العماني الصلت بن مالك (٢٧٥هـ)، وفي مدينة ازكي ظهرت مدرسة العلامة موسى بن أبي جابر، حيث زحرت هذه المدينة العمانية بالعلم والعلماء وكذلك مدينة نزوى التي ظهر فيها العلامة سليمان بن عثمان العقري، كما ظهر أعلام أفاض من بينهم محمد بن محبوب الرحيلي، الذي ألف كتاباً في أصول الفقه يقع في سبعين جزءاً والشيخ بشير بن محمد بن محبوب الذي كتب في الفقه والعقيدة والشيخ أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي وله كتابان مشهوران أحدهما في الفقه والآخر في التاريخ وهو من علماء القرن الثالث الهجري.

وهكذا توالى ظهور المدارس الفقهية والدينية سواء في عصر البعارة، حيث ظهرت المدارس العلمية في مختلف العلوم والمعارف أو في عصر البوسعيديين حيث ظهرت مدرسة العلامة حبيب بن سالم بن محمد أبو سعيد وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء والقضاة وكان ممن عقد الإمامة للإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وكانت مدرسته في محلة العقر في نزوى، كما ظهرت مدرسة العلامة أبي نبهان جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي.

وفي القرن الثالث عشر للهجرة التاسع عشر للميلاد ظهرت مدرسة الشيخ ناصر بن أبي نبهان الذي انتقل إلى مسقط وأقام مدرسته بدارسيت ثم بوشر وتخرج على يديه أجلة العلماء والفضلاء ثم توالى مدرسة الشيخ نور الدين السالمة، وقد ترك هذا العالم الجليل ذخيرة من الكتب والمؤلفات تروى بها المكتبة العمانية حتى الوقت الحاضر، وقد تناولت هذه المؤلفات شتى مجالات العلوم كأصول الدين والفقه والتاريخ واللغة العربية.

وليس من شك في أن الباحث يستطيع أن يدرك غزارة التراث العماني ووفرتة وتنوعه من أسماء المصادر العمانية التي استند إليها العلماء الذين ألغوا في كل علم وفن.

وإذا كان العمانيون قد ضربوا بسهم وافر في علمي الحديث والفقه فقد برزوا كذلك في ميدان اللغة ويبدو ذلك



سنة (٣٧هـ / ٦٥٧م) بعد اجتماع الحكيم - عمرو بن العاص وعبدالله بن قيس أبي موسى الأشعري - وخلعهما عليا بن أبي طالب من خلافة المسلمين.

ونجم المصادر التاريخية على انه عقب وقوع الفتنة واختراق الأمة وبعد ان صار الملك والسلطان معاوية بن أبي سفيان لم يكن للأمويين شيء من الشأن والسلطان في عمان. لقد انتقل مركز السلطة المركزية للدولة العربية الإسلامية من الكوفة إلى دمشق بعد تنازل الحسن بن علي عن الخلافة سنة (٤١هـ) لصالح معاوية وكانت اهتمامات الخليفة الأموي بالدرجة الأساسية استتباب الأمن واستقرار اقاليم الدولة العربية الإسلامية الرئيسية ومن جملتها العراق، حيث عهد بادارة الكوفة للمغيرة بن شعبة الثقفي، وجعل لولاية البصرة عبدالله بن عامر ثم عين زياد بن أبيه الثقفي عام (٤٥هـ) بدلا منه.

ورغم هذه التطورات السياسية التي طرأت على سلطة الدولة العربية الإسلامية إلا ان إدارة عمان ظلت تحت نفوذ آل

انساب العرب لأبي منذر سلمة بن مسلم العوتبي الصداري وهو أقدم مؤلف وصلنا عن تاريخ عمان وكتاب الصحيفة العدنانية والصحيفة القحطانية لمؤلفها العماني حميد بن محمد بن رزيق وكتاب نسب عدنان وقحطان للمبرد.

وعلى الرغم من اهتمام المؤرخين العمانيين بتدوين الأحداث التاريخية، بخاصة تلك التي تتعلق بأخبار أئمة المذهب الإباضي إلا انهم لم يغفلوا تدوين أخبارهم العامة أحيانا، سواء منها ما يتعلق بحروبهم الخارجية أو الداخلية وهذا ما جعل المؤلفات التاريخية العمانية تأخذ شكل الموسوعات في منهجها وإنجازاتها.

عمان والدولة الأموية

حين اطلت الفتنة بين المسلمين في زمن عثمان، وحين قبل علي بن أبي طالب التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، بدأت عمان تكون رأيا سياسيا مخالفا لما قامت عليه خلافة بني أمية، ثم استقلت زماما عن الدولة الأموية وذلك منذ



رسم برتغالي لمدينة قريات تعود إلى القرن السابع عشر الميلادي.

حملة عسكرية بعث بها الحجاج إلى عمان كانت بقيادة القاسم بن شعوة المزني وقد رست الحملة في ساحل حطاط إلا أن العمانيين قاوموا مقاومة بأسلة مما أدى إلى اندحار الحملة وقتل قائدها، لذا فقد أخذ الحجاج يعد العدة لإرسال حملة كبيرة تحت قيادة مجاعة بن شعوة المزني وهو شقيق القائد الذي لقي حتفه في الحملة الأولى وبلغ عدد المقاتلين أربعين ألفا وقسمت القوات إلى قسمين قوة سلكت طريق البر وأخرى أخذت طريق البحر واختار الحجاج بن يوسف كل المقاتلين من النزاريين، الذين لا يمتنون للأزد بطة.

وقد وصلت القوات البرية قبل القوات البحرية وكان سليمان بن عباد الجندى على علم بخروج الحملة ووقعت المواجهة بالقرب من وادي بوشر ونزلت الهزيمة بجيش الحجاج في الوقت الذي كانت فيه القوات البحرية قد وصلت إلى جلفار (رأس الخيمة) ولجأ العمانيون إلى استخدام أساليبهم البحرية ومن بينها إحراق أكثر من خمسين سفينة من أسطول الحجاج مما دفع بقية السفن إلى الفرار نحو البحر.

وكتب القائد الأموي مجاعة المزني إلى الحجاج ينبئه بظروفه العسكرية الصعبة فأمدّه الحجاج بقوات بلغت خمسين ألف مقاتل كان معظمهم من أهل الشام الذين لجأوا إلى السيطرة على المناطق الساحلية من عمان وتؤكد الروايات التاريخية أن سعيد وسليمان ولدي الجندى قد حوصرا في الجبل الأخضر وبذلك ضعفت روح المقاومة لدى العمانيين وزاد الموقف سوءاً هروب سعيد وسليمان إلى شرق أفريقيا وهكذا أصبحت قوات الحجاج تسيطر على عمان.

وظلت عمان تابعة للأُمويين إلى أن توفى عبد الملك بن مروان وولى الخلافة ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) وبوفاة الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٩٥هـ) تولى أمر العراق بدلا منه سيف بن الهاني الهمداني.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) بدأت قبضة الأمويين تخف عن عمان وأخذ العمانيون يستعيدون استقلالهم تدريجيا وخصوصا بعد أن عين يزيد بن المهلب الأزدى واليا على العراق وخراسان حيث ولى يزيد أخاه زيادا على عمان حيث أحسن إلى أهلها.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) كتب العمانيون إلى الخليفة العادل يشكون من ظلم عماله فاختار الخليفة بنفسه عمر بن عبد الله الأنصاري الذي أحسن السيرة

الجندى، حيث بقوا محافظين على استقلالهم الإداري وخاصة في بداية العصر الأموي، ولعل انتقال مقر الحكم الأموي إلى دمشق قد جعل عمان أكثر استقلالا نظرا لبعدها الجغرافي وخصوصا وأن أبناء الجندى لم يعلنوا صراحة عن نزعة انفصالية في خلافة معاوية بن أبي سفيان الذي حكم من عام (٤١هـ وحتى ٦٠هـ).

وقد بقيت عمان مستقلة استقلالا شبه كامل في بداية العصر الأموي ولا نحدثنا المصادر عن أي تدخل من قبل الأمويين في شؤون عمان طيلة الفترة السفيانية وحتى عهد عبدالملك بن مروان.

لقد بدأ يضطرب الوضع السياسي في الأقاليم خلال حكم يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤هـ) ونشبت المعارضة في الحجاز والعراق وتعرضت عمان في هذه الفترة لخطر نجده بن عامر الحنفي زعيم الخوارج النجدات، الذي تمكن من السيطرة على البحرين وتطلع إلى مد نفوذه إلى عمان، التي أرسل إليها حملة عسكرية بقيادة عطية بن الأسود الحنفي عام (٦٧هـ) وكانت عمان وقتئذ تحت حكم عباد بن عبد بن الجندى يعاونه إبنه سليمان وسعيد في تدبير أمور عمان وتمكن عطية الحنفي من مفاجأة آل الجندى بقواته حيث تمكن من هزيمة آل الجندى واستولى على عمان بالقوة.

كما أزعجت هذه الانتصارات عبدالله بن الزبير، الذي كان يسيطر على الحجاز وقسم كبير من العراق فأرسل جيشا إلى الخوارج النجدات ولكن نجده واتباعه هزموه واضطروه للفرار.

لقد راح العمانيون يتحينون الفرصة للتخلص من سلطة نجده بن عامر وقد حانت تلك الفرصة عندما قتل القائد الخارجي عطية الحنفي أثناء عودته إلى البحرين تاركا وراءه كنائب عنه أبا القاسم في إدارة شؤون عمان وانقض العمانيون بقيادة آل الجندى على أبي القاسم وقتلوه وشتتوا أتباعه وعادت عمان مستقلة مرة أخرى.

لقد كان تعيين الحجاج بن يوسف الثقفي أميرا على العراق والمشرق الإسلامي سنة (٧٥هـ) من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان نقطة تحول هامة في تاريخ العلاقات بين سلطة الدولة المركزية وعمان، لذا فقد وضع الحجاج عمان ضمن أولويات خطته بهدف إعادتها إلى الدولة الأموية.

وقد حاول الحجاج أن يخضع عمان للسيطرة الأموية مستعلا القوة والعنف وتشير المصادر التاريخية إلى أن أول



اليحمدي اماما الا انه كان شديدا تنقصه المرونة فاجمع العلماء على عزله واختاروا الوارث بن كعب الخروصي، وفي عهده استقرت الامور وساد النظام والا من فضل حزمه وعزمه.

لم يرز هارون الرشيد عن هذا الوضع فأرسل حملة كبيرة بقيادة عيسى بن جعفر بن سليمان لإخضاع عمان سنة (٨٩هـ / ٨٠٤م) ولكن هذه الحملة باءت بالفشل، الامر الذي اغضب الخليفة هارون الرشيد الذي لم يلبث أن توفي قبل أن يثار من عمان وأهلها.

اجتمعت كلمة أهل عمان على مبايعة غسان بن عبدالله اليماني بالامامة بعد وفاة الوارث بن كعب سنة (٩٢هـ / ٨٠٧م) وقد بقي إماما خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وفي عهده امتد نفوذ عمان إلى اقاليم أخرى من شبه الجزيرة العربية مثل اليمامة وحضرموت فضلا عن بعض الجزر القريبة مثل سقطرى.

وبوفاة الامام غسان بن عبدالله اليماني انتقلت الامامة إلى عبدالله بن حمير بن ماء السماء الأزدي وخلال امامته حدثت العديد من المشكلات والفن الداخلية إلى ان اختير الامام المهنا بن جعفر اليماني الذي بويع عام (٢٢٦هـ / ٨٤٠م)، وقد تنبه إلى المخاطر التي كانت تتعرض لها عمان وكان أكثرها يأتي من ناحية البحر. لذا فقد اخذ في تقوية الاسطول الذي وصل في عهده إلى ثلاثمائة سفينة كاملة التسليح، مهية لخوض غمار الحرب أما جيشه البري فقد وصل إلى درجة أن حامية نزوى وحدها كانت تضم عشرة آلاف مقاتل وسعمائة ناقة وستمئة فرس.

ثم إمام آخر عظيم الهمة هو الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي، الذي بويع بالامامة في نفس اليوم الذي مات فيه الامام المهنا في السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة (٢٣٧هـ / ٨٥١م) وقد بويع الصلت على ما بويع عليه ائمة العدل من قبله، اصلاح في الداخل وجهاد في الخارج، وكانت ارض عمان في عهده مترامية الأطراف إذ كانت سقطرى والمكلا وحضرموت والمهرة كلها تحت الحكم العماني وفي عهده اعتدى النصارى الاحباش باسطولهم على سقطرى واطلقوا الاجراس وجعلوها نصرانية واستغاثت به امرأة من أهل سقطرى وكانت بمثابة (وامعتصاه) التي اطلقتها امرأة مسلمة في (عمورية)، وإذا كان المعتصم قد قاد جيشا من

فيهم ولم يزل واليا على عمان مكرما بين أهلها يستوفي الصدقات من اغنيائهم ويردها إلى فقرائهم حتى وفاة عمر بن عبد العزيز، حيث خرج من عمان قاصدا زياد بن المهلب قائلا له: هذه بلاد قومك فشأنك بها.

وفعل قام زياد بن المهلب بشؤون عمان حتى ظهر أبو العباس السفاح وصار ملك بني أمية إليه وقامت على يديه الخلافة العباسية في الوقت الذي قامت فيه في عمان أول امامة اباضية على يد الجلندي بن مسعود ونجح استقلال عمان عن الدولة العباسية الوليدة.

عمان والدولة العباسية

قيام الدولة العباسية فوض الخليفة أبو العباس السفاح اخاه أبا جعفر المنصور على اقاليم عمان واليمامة والبحرين وقد اختار أبو جعفر جناح بن عباد بن قيس الهنائي عاملا على عمان فظل في منصبه مدة قصيرة، حتى حل محله ابنه محمد بن جناح الذي حسنت سيرته في أهل عمان فأحبوه وقد تأثر كثيرا بالفكر الاباضي مما دعاه إلى الاعتراف بنفوذهم، فبادر أهل عمان وعقدوا الامامة للجلندي بن مسعود، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للامامة الاباضية وبذلك خرجت عمان من يد العباسيين زمن أبي العباس السفاح. على ان الخلافة العباسية كان لا يمكن ان يطول سكوتها عما كان يحدث في عمان مما يشكل سابقة خطيرة تؤدي إلى تهزق الدولة العباسية وانفصال اطرافها، لذا فقد أرسل الخليفة أبو العباس السفاح سنة (١٣٤هـ) حملة بحرية بقيادة خازم بن خزبة لإخماد الثورة التي تاجت في جزيرة ابن كاوان القريبة من عمان واخضاع عمان لنفوذ الخلافة العباسية. وفي الحروب التي دارت بين الجيش العباسي وبين الجلندي بن مسعود قتل الأخير وبضعة آلاف من رجاله في موقعة جلفار. ومع ذلك فإن أوضاع عمان لم تستقر طويلا ولم يستطع الولاة العباسيون ان يسيطروا على البلاد بسبب معارضة العمانيين لهم.

لقد تركت وفاة الجلندي فراغا سياسيا كبيرا وصدمة بين أتباعه وعلى الرغم من ذلك فلم يستطع العباسيون اخضاع عمان، فالعمانيون لم يستكينوا للوالي العباسي وظلوا يناوئون العباسيين ويعارضون حكمهم.

لم يلبث العمانيون أن ثاروا سنة (١٧٧هـ / ٧٩٣م) وخلعوا الطاعة للخلافة العباسية واختاروا محمد بن عبدالله بن عفان



الفرسان حتى ظفر وانتصر فإن الإمام الصلت بعث أسطولاً من مائة سفينة حربية تحمل جنوداً أشاوس وفرساناً يحتسبون أرواحهم في سبيل الله وهم كانوا من استعادة الجزيرة من مغتصبيها. وقد أمضى الإمام الصلت في الحكم خمساً وثلاثين سنة من (٢٣٧ هـ إلى ٢٧٢ هـ) (٨٥١ - ٨٨٥ م).

وفي عهد الإمام (الصلت) استقلت عمان عن الدولة العباسية استقلالاً كاملاً، وقد عاصر هذا الإمام العادل ستة من خلفاء بني العباس هم المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد.

وفي أواخر القرن الثالث الهجري دخلت أمانة عمان مرحلة من مراحل الضعف، حيث اشتدت الصراعات بين القبائل ولجأ بعضهم إلى الاستعانة بالوالي العباسي في البحرين ضد خصومه ومناقضيه مما أغرى محمد بن نور - الوالي العباسي في البحرين - بغزو عمان سنة (٢٨١ هـ / ٨٩٤ م) فاستولى على سواحل عمان وأقام الخطبة للخليفة العباسي المعتضد وفرض على العمانيين خراجاً سنوياً ومع ذلك فقد ظل العمانيون يختارون أئمتهم بعيداً عن سطوة العباسيين.

لقد بقيت عمان متمسكة، قوية في ظل أئمتها العظام من أمثال الصلت بن مالك إلى أن تولى أمر عمان عدد من الأئمة، لم يكن الواحد منهم يبق في منصبه إلا بقدر ما يكيد له الآخرون، وفي عهد الإمام عزان بن زعيم وقعت حرب أهلية طال أمدها واتسع مداها إلى أن أكلت الأخضر واليابس.

وفي أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي تعرضت عمان لهجمات القرامطة الذين اتخذوا البحرين مقراً لهم، ولم نحل سنة (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) إلا وكان القرامطة قد سيطروا على بعض أجزاء عمان في الوقت الذي أخذت فيه الخلافة العباسية طريقها نحو الانحلال والضعف وازداد نفوذ بني بويه في الدولة وانعكس ذلك بشكل واضح على عمان التي تغلب عليها يوسف بن وجيه وهو رجل مغامر سبق له أن حاول احتلال البصرة مرتين إلا أنه فشل في محاولاته سنة (٣١١ هـ، ٣٤١ هـ). لقد تمكن يوسف بن وجيه من الاستقلال بعمان بعيداً عن الخلافة العباسية.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن العمانيين لم يرضخوا لسلطة يوسف بن وجيه واختاروا سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب بن الرحيل أمماً عليهم سنة (٣٢٠ هـ / ٩٣٠ م)،

واستطاع هذا الإمام انتزاع عمان الداخل من قبضة يوسف بن وجيه الذي بقي محصوراً في المناطق الساحلية، وبعد استشهاد الإمام سعيد بن عبدالله بالقرب من الرستاق سنة (٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) اختار العمانيون راشد بن الوليد أمماً وواصل الحرب ضد مغتصبي بلاده وحقق انتصارات متوالية على يوسف بن وجيه الذي اغتاله مولاه نافع سنة (٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م) وتولى الأمر مكانه وأعلن ولاءه للعباسيين ووجدها الخليفة معز الدولة فرصة لغزو عمان إلا أن محاولاته جميعها باءت بالفشل. وبلغ من سوء الأحوال عندئذ أن بعض المتناقسين على السلطة في عمان استعانوا بالقرامطة في البحرين سنة (٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م) مما عرض عمان لخطر القرامطة من جديد.

لقد افزع هذا الوضع المخلصين من العمانيين، فنظموا صفوفهم وهم كانوا من طرد القرامطة نهائياً من عمان سنة (٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) واتبعوا ذلك بالعمل على استئصال نفوذ الخلافة العباسية من عمان.

لقد ظلت عمان خاضعة للولاة مدة خمسة وستين عاماً، منذ موت الإمام راشد بن الوليد سنة (٣٤٢ هـ)، حتى اختير الخليل بن شاذان أمماً في العقد الأول من القرن الخامس الهجري.

وقد انتعشت الأمانة الإباضية بسبب هذه الانتصارات المتلاحقة، وأحس بنو مكرم - وهم من أعيان أهل عمان - بمنافسة الأئمة لهم فاشتد الصراع بين الطرفين ووقعت الاضطرابات والحروب الأهلية مرة ثانية ولم يجد العمانيون مخرجاً من هذا الوضع المتروكي إلا بالاتفاق حول الأمانة الإباضية.

وكان أن سقطت الخلافة العباسية في بغداد على أيدي التتار في أواسط القرن السابع الهجري ولم يكن التتار قوة بحرية ليفرضوا سيطرتهم على الخليج، لذا فقد بقيت عمان بمنأى عن سيطرتهم ومضت في طريقها بعيداً عن نفوذ التتار ولم تلبث أن دخلت حوالى منتصف القرن السادس للهجرة في عصر بني نبهان.

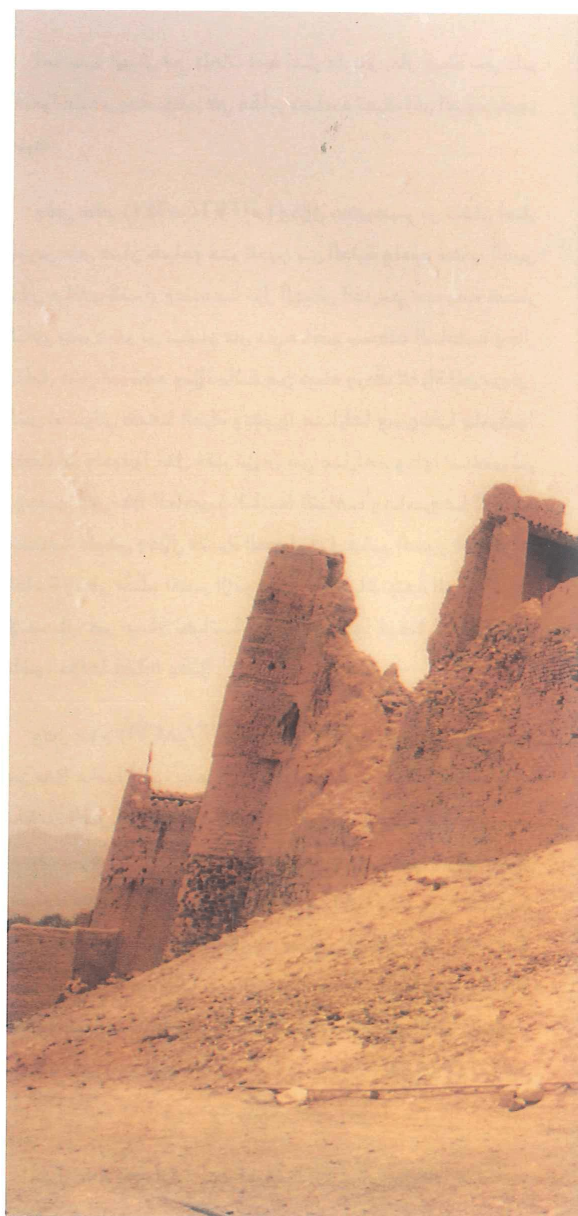


النباهنة حكماً على عمان



جانب من آثار قلعة بهلا التي يعود تاريخ بنائها إلى العصر الجاهلي وقد تم إدراجها ضمن قائمة معالم التراث العالمي.

400-1





يتفق المؤرخون على أن حكم بني نبهان، استمر خمسة قرون تقريباً (١١٥٤ - ٦٢٤ م) عرفت الأربعة القرون الأولى بفترة النباهنة الأولى، والتي انتهت بحكم سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني.

وعرفت الفترة الثانية بفترة النباهنة المتأخرين والتي امتدت من عام (١٥٠٠ إلى ٦٢٤ م)، حيث انتهت مع قيام دولة اليعاربة وظهور الإمام ناصر بن مرشد (٦٢٤ م).

والنباهنة من أصول عربية، حيث ينتسبون إلى قبيلة العتيك الأردنية العمانية العريقة وقد وصفهم ابن رزيق بأنهم ملوك عظام وكان من أشهر ملوكهم جوداً وكرماً (الفلاح بن المحسن).

لقد أشاد ابن بطوطة أثناء زيارته لعمان بتواضع الحكام النباهنة، حيث أتبعه أن يلتقي بالملك النبهاني أبي محمد، الذي قال عنه: (ومن عاداته أن يجلس خارج باب داره، ولا حاجب له ولا وزير ولا يمنع أحداً من الدخول إليه من غريب أو غيره، ويكرم الضيف على عادة العرب، ويعين له الضيافة ويعطيه على قدره، وله أخلاق حسنة).

يعتبر عصر النباهنة بأنه من أكثر فترات التاريخ العماني غموضاً بسبب قلة المصادر التي تناولت هذه الفترة لكن ما وصل إلينا من معلومات يعطي انطباعاً بأن عصرهم كان عصر تنافس وصراعات داخلية ويصعب تتبع أحداث هذه الصراعات لكن من الثابت أن تدهور الأوضاع الداخلية قد أغرى الفرس لمحاولة اختلال عمان وأن هجوماً قام به الفرس في عهد الملك النبهاني معمر بن عمر بن نبهان لكن العمانيين تصدوا لهذا الهجوم وقضوا عليه إلا أن هجوماً آخر قد وقع سنة (٦٦٠ هـ/١٢٦١ م) في عهد الملك أبي المعالي كهلاً بن نبهان بقيادة ملك هرمز (محمود بن أحمد الكوسني)، الذي تمكن من الاستيلاء على قلعات مستغلا الصراعات القبلية ثم مضى نحو ظفار، حيث قامت قواته بنهب الأسواق ومنازل الأهالي وسبي رقيقهم وبلغ عدد السبي اثني عشر ألفاً وحملت إلى المتعة والأموال المملوكة والرقائق إلى قلعات ثم أنجز معظم الجيش متوغلاً في داخل عمان عن طريق البر يقوده ملك هرمز نفسه ولما وصل جيشه إلى منطقة (القرن)، حيث جبال ظفار الشاهقة تم الاستعانة بعشرة رجال من أهل ظفار كأدلاء للطريق، فلما وصلوا بهم إلى داخل عمان

هربوا عنهم ليلاً وعلى حد تعبير ابن رزيق: (أصبحوا حائرين يترددون في رمال عالية وقيافي خالية) فتأهوا في تلك الصحاري الواسعة ونفذ ما معهم من ماء وطعام ونفقت دوابهم من الجوع والعطش وهام ملك هرمز على وجهه في الصحراء فهلك ومعظم جيشه ومن بقي منهم قتل على يد عرب البادية إلا نحر قليل واصلوا سيرهم حتى وصلوا إلى جلفار (رأس الخيمة) ومنها أبجروا إلى هرمز.

أما بقية الجيش في قلعات فقد أغار عليهم رجال قبيلة بني جابر وقضوا عليهم ودفنوا في مقابر جماعية تعرف إلى اليوم بقبور الترك.

وفي عام (٦٤٧ هـ/١٢٧٦ م) وخلال حكم عمر بن نبهان أغار الفرس على عمان بقيادة فخر الدين بن الداية وأخيه شهاب الدين نجلي حاكم شيراز وعندما نزل الجيش الفارسي مدينة صحر التقي بهم عمر بن نبهان في حي عاصم بمنطقة الباطنة وظل يقاتل حتى استشهد وثلاثمائة من جيشه وزحف الغزاة إلى نزوى، التي استولى عليها الغزاة ونهبوا منازلها وسوقها وأحرقوا المكتبات وأخرجوا أهل عقر نزوى من منازلهم وحلوا محلهم ثم توجهوا إلى بهلا العاصمة الثانية للنباهنة وحاصروها إلا أنها استعصت عليهم وخلال فترة الحصار قتل فخر الدين أحمد بن الداية وكان لقتله أكبر الأثر على معنويات جنده الذين قرروا الانسحاب من عمان نهائياً بعد أن مكثوا فيها أربعة أشهر عاشوا خلالها فساداً وقتلاً.

وفي عام (٨٦٦ هـ/١٤٦٢ م) أغار الفرس على عمان واتخذوا من بهلا مقراً لهم، بعد أن طردوا الملك النبهاني سليمان بن مظفر، الذي فر إلى الأحساء، التي اتخذها مكاناً لإعادة ترتيب جنده، ثم عاود هجومه على الفرس وتمكن من تحرير عمان وإعادة ملكه، لكن يبدو أن انقساماً قد وقع بين النباهنة أنفسهم، لذا فقد رحل سليمان بن مظفر إلى شرق أفريقيا، حيث أسس مملكة بته (بات) بعد أن ترك ولده سليمان وسحام في عمان واشتد بينهما الصراع على السلطة وانتهى الأمر بانتصار سليمان على أخيه لكن الصراع بينهما وبين زعماء القبائل لم يتوقف إلى أن اختارت القبائل محمد بن اسماعيل اماماً.

ثم تجددت الصراعات مرة أخرى حينما تمكن سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني من استعادة ملك أجداده وانتزع مدينة



نزوى عام (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) إلا أنه لم يتمكن من السيطرة على داخلية عمان.

وقد بقيت البلاد تتنازعها الانقسامات والحروب الأهلية إلى أن تمكن سليمان بن مظفر بن سلطان من السيطرة على داخلية عمان واتخذ من مدينة بهلا مقرا لحكمه ونجح العمانيون في صد هجوم فارس على مدينة صحر لكن ما لبثت الفتن أن اطلت برأسها من جديد ولما كانت مدينة بهلا مقرا لحكم النباهنة فقد حرص كل زعيم منهم على أن ينفرد بحكمها، لذا فقد انقسمت البلاد بين أشخاص نصبوا من أنفسهم ملوكا على مدن وقطاعات اتسمت أوضاعها بالضعف وامتد الصراع إلى منطقة الظاهرة، التي كان مسيطرا عليها أبناء الملك النبهاني فلاح بن محسن.

لقد تناولت المصادر العمانية الفترة الأخيرة من حكم النباهنة، حيث سادت القوضى وانقسمت عمان إلى ممالك صغيرة وتدهور الحياة الاقتصادية والسياسية إلى أن قبض الله لعمان رجلا من بين رجالها نميز بكفاءة عالية ألا وهو ناصر بن مرشد اليعربي، الذي اختاره أهل الحل والعقد في عمان وعقدوا له الإمامة سنة (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) وبذلك بدأت عمان مرحلة جديدة من التلاحم، حيث استوعب الإمام الجديد كل نجارب وطنه وعزم النية على أن يبدأ بتوحيد البلاد على اعتبار أن ذلك هو صمام الأمان لمواجهة الخطر الخارجي المتمثل في الاحتلال البرتغالي واستعملت عمان عصرا جديدا نميز بالشموخ والقوة.

جذور العلاقات العمانية الإفريقية

لم يكن قيام السلطنة العربية في زنجبار في أوائل العقد الرابع من القرن التاسع عشر شيئا استثنائيا في تاريخ شرق إفريقيا، إذ من المؤكد أن هذه السلطنة لم تقم فجأة، وإنما كان قيامها تقويفا لتاريخ طويل، حيث مهد لظهورها رواد كثيرون وصلوا المنطقة منذ أزمنة بعيدة وأسسوا المراكز التجارية والإمارات العربية الإسلامية إلى أن جاء دور السلطنة العمانية في توحيد تلك الكيانات الصغيرة.

كما ظهرت المؤثرات الإسلامية والعربية في تلك المنطقة،

الامتدة من ساحل شرق إفريقيا، الممتد من رأس جرد فون شمالا إلى خليج دلجادو جنوبا، تلك المنطقة التي أطلق عليها العرب ساحل الزنج أو زنجبار حيث كان التجار العمانيون واليمينيون أقدم من وطنها وكان قدومهم إليها للتجارة حينا أو الاستيطان حينا آخر.

كما ساعدت العوامل الجغرافية على تنشيط حركة الملاحة لأن الرياح الموسمية، التي تهب على منطقة المحيط الهندي تمكن السفن الشراعية الصغيرة من القيام برحلتين منتظميتين في السنة، بأقل مجهود ففي فصل الخريف تدفعها الرياح في اتجاه جنوبي غربي فتخرج من خليج عمان إلى المحيط الهندي ثم تسير بمحاذاة الساحل الإفريقي، الذي ينحني ناحية الجنوب الغربي. وفي فصل الربيع تندفع السفن في اتجاه شمال شرقي يمكن السفن من العودة إلى قواعدها في سواحل عمان. وقد ظلت الرياح الموسمية تعد سرا من الأسرار التي احتفظ بها العمانيون والهنود إلى أن تمكن ملاح اغريقي من كشف اتجاه هذه الرياح ومن الملاحظ أن العمانيين لم يقتصر نشاطهم البحري على ساحل شرق إفريقيا وإنما اندفعوا بفضل معرفتهم بتلك الرياح إلى الشرق الأقصى حيث أقيمت المستوطنات العمانية في سواحل الهند والصين وجزر الشرق الأقصى.

لقد اكتفى العمانيون في فترة ما قبل الإسلام بالاستقرار على الساحل مكتفين بإنشاء المراكز التجارية لتصدير الذهب والعاج والدقيق، الذي كان يحمل إلى الدول القديمة، التي كانت تلج في طلبه وهي الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية وكان زعماء القبائل الإفريقية يأتون إلى الساحل ويقايضون بضاعتهم بما يحمله العمانيون من اللبان والصمغ والخيول العربية والأحجار الكريمة.

وقد استوطن العمانيون ساحل شرق إفريقيا لأسباب كثيرة، لعل أبرزها المنازعات الدينية والسياسية في العصرين الأموي والعباسي ونحدثنا المصادر التاريخية بأن كثيرا من العمانيين قد هاجروا إلى شرق إفريقيا هربا من الحجاج بن يوسف الثقفي مما ساهم بشكل ملحوظ في نشر الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا.

كذلك فقد أحدث الإسلام أثره في ساحل شرق إفريقيا بينما بقي الداخل إفريقيا صرفا ولم يحدث أن تعمق العرب في الداخل



وابتداءً من عام (٦٠١ هـ) بدأت الهجرات العمانية إلى شرق أفريقيا تمثل حركة منتظمة وخصوصاً بعد أن أسس سليمان بن مظفر النبهاني حكماً عمانياً في مدينة بات ونظراً للشخصية التي كان يتمتع بها الملك النبهاني الذي كان ملكاً على عمان، فقد استقبله العرب العمانيون استقبالا طيباً وكان أول ما فعله الملك النبهاني أنه تزوج من ابنة حاكم الجزيرة السواحلي المدعو اسحاق، الذي قبل أن يتنازل لصره عن حكم الجزيرة.

وعلى الرغم مما تعرضت له الأسرة النبهانية من صراع اسري حول السلطة إلا أنها استطاعت أن تحقق انتعاشاً كبيراً في الساحل الشرقي لأفريقيا وأصبحت جزيرة بات مركزاً لحكم النباهنة، ومنها امتد نفوذهم إلى عدد من الهواني، والجزر على الساحل الأفريقي مثل قساميو وبراوو ومقديشو ثم امتد بعد ذلك إلى ماليندي وكلوه ومباسا، وهكذا استطاعت هذه الأسرة العربية أن تخضع معظم الساحل الشرقي تحت لوائها.

وفي عصر النباهنة نشطت الحركة التجارية في الشرق الأفريقي وتوافد على الساحل التجار العرب من عمان واليمن.

لقد عرف العمانيون مناطق الساحل الأفريقي الأربع وهي بربرة والزنج وسفالة (موزمبيق) وبلاد الواق، كما أطلق عليها المسعودي وتعرفوا على مدن كل منطقة واكتسبوا خبرة كبيرة في مسالك الطرق التجارية بين عمان وشرق أفريقيا، حيث تبدأ محطتهم الأولى أثناء قدومهم من عمان في أرض الههرة والشحر (حضر موت) ثم عدن ومنها تتجه سفنهم ناحية الجنوب الغربي مارة بجزيرة سوقطرة لتصل إلى أول منطقة في أفريقيا الشرقية وهي بلاد (بربرة) ثم تتجه السفن إلى (بلاد الزنج) لتبدأ المرحلة الثانية من رحلة السفن العمانية، وكان التجار العمانيون قد عرفوا بلاد الزنج بصورة دقيقة ونمتد هذه المنطقة بين مدينة مقديشو (في الصومال) إلى بلاد سفالة (موزمبيق) أما أول مدينة على الخط التجاري الهار ببلاد الزنج تدخلها السفن العمانية فكانت مدينة مقديشو ومن المحطات التي كانت يمر بها السفن العمانية في ساحل بلاد الزنج بعد مقديشو مركبة وبراوو ثم يمر السفن على بات ولامو ثم تتجه السفن العمانية بعد ذلك جنوباً إلى ماليندي ومباسا وحين تتجه المراكب التجارية العمانية من مباسا تلتزم الطريق المهادي للساحل الأفريقي إلى أن تتمكن من عبور قناة زنجبار للدخول إلى جزيرة زنجبار وإلى

إلا بعد إنشاء السلطنة العربية في زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦م)، حيث أمنت طرق القوافل وأست المراكز والمحطات التجارية، لذا فإننا نستطيع أن نقرر أن الحضارة الإسلامية إلى ما قبل قيام سلطنة زنجبار لم تهتد أبعد من الساحل كثيراً.

والسؤال الذي يطرح نفسه. لماذا وجه العمانيون نشاطهم التجاري نحو شرق أفريقيا أكثر من أي مكان آخر؟

للإجابة على هذا السؤال يمكن طرح عدة عوامل أساسية:

١ - لقد ارتبط العمانيون بالبحر منذ أزمنة سحيقة مما اكسبهم خبرة بحرية مكنتهم من ارتياد المحيط الهندي بين عمان وشرق أفريقيا بكل سهولة ويسر.

٢ - الموقع الجغرافي لهواني عمان، التي جعلت منها مراكز تجارية هامة لتجارة العبور (الترانزيت) استيراداً وتصديراً بين أسواق العالم القديم والوسيط.

٣ - العلاقة المكانية بين عمان وشرق أفريقيا، فالجوار الجغرافي قد دفع العمانيين لأن يوجهوا نشاطهم التجاري إلى شرق أفريقيا.

٤ - كانت سواحل شرق أفريقيا مراكز جذب للعمانيين، لما يتوافر فيها من سلع تدر أرباحاً عالية، لذا فقد غامر العمانيون ونحلموا الصعاب والمخاطر من أجل الحصول عليها.

٥ - حركة الرياح الموسمية المنتظمة التي تهب على المحيط الهندي التي مكنت العمانيين من القيام برحلتين منتظميتين في السنة، في شهري نوفمبر وأبريل من كل عام.

٦ - البعد الجديد الذي اكتسبته العلاقات العمانية الإفريقية بعد الإسلام، حيث غامر العمانيون بهدف نشر الإسلام، عقيدة وحضارة وكانت التجارة وسيلة عملية لاتساع نفوذ الإسلام.

ثم جاءت الخلافات السياسية والمذهبية سواء بين العمانيين أنفسهم أو بينهم وبين عاصمة الخلافة في العصرين الأموي والعباسي مما دفع بكثير من العمانيين إلى اتخاذ شرق أفريقيا مكاناً دائماً للإقامة.

ان السيد سعيد بن سلطان قد ادخل زراعات جديدة خاصة زراعة القرنفل حتى اصبحت جزيرتنا بمها وزنجبار زهدان العالم بالنصيب الاوفى من احتياجاته من ذلك المحصول (٩٠٪).

والحقيقة التي أجمع عليها المؤرخون ان انتشار الاسلام خارج الجزيرة العربية منذ القرن السابع الميلادي قد واكبه هجرات عمانية إلى شرق افريقيا وبدأ هؤلاء يقيمون المدن والامارات الاسلامية على الساحل الافريقي وصادفوا جماعات من العرب سبقتهم إلى هناك منذ أزمنة بعيدة، كما لقوا شعبا سواحليا اسهمت العناصر الوافدة على الساحل في تكوين سماته، ويتفق المؤرخون على ان المهاجرين العمانيين قد اقاموا منازلهم الجديدة دون مشقة أو عناء وتراوجوا وامتزجوا بالافارقة الذين اخذوا عنهم الدين الاسلامي والثقافة العربية، كما اخذوا عنهم الكثير من وسائل عيشهم.

يعد السير ريجنالد كوبلاند COUPLAND من ابرز الباحثين في تاريخ شرق افريقيا ولم يجد الرجل مناصا من الاعتراف بالمراكز التجارية والحضارية التي اقامها العرب والتي اسهمت بشكل فاعل في تطوير المجتمعات الافريقية. وقد ابرز الرحالة البرتغالي دورات باربوسا DURATE BARBOSA الحالة التي كانت عليها مدن الساحل الافريقي عند مقدم البرتغال وسجل اعجابهم بما وجدوه من مدن ومجتمعات متحضرة ونجارة مزدهرة مع الشرق الاقصى والهند كما سجل التناقض الواضح بين حالة الساحل الغربي والساحل الشرقي لافريقيا، الذي كان يموج بالحياة حتى السفن التي وجدها البرتغاليون كانت أكبر من سفنهم ورأس البرتغاليون مدنا أهلة بالسكان لا تقل نشاطا عن مدن البرتغال، كما رأوا نجارة بحرية مزدهرة من الذهب والحديد والعاج والخرز والجلود والاقمشة القطنية.

لقد اشار كثير من البرتغاليين إلى الاتصالات التجارية بين موانئ شرق افريقيا والشرق الاقصى كما نحدثوا عن العمارة والفن في تلك المدن، كما أكد الكثيرون منهم ان كشف طريق رأس الرجاء الصالح كان بمثابة كارثة بالنسبة لهذه المدن ولذلك فانهم يحددون نهاية القرن الخامس عشر بانه يسجل انهيار العصر الذهبي للحضارة الاسلامية على الساحل الشرقي لافريقيا والتي كانت نتاج حميد متواصل للعرب عموما والعمانيون على وجه الخصوص.

جنوب زنجبار تبخر المراكب العمانية في مياه بلاد الزنج إلى مدينة كلوه التي احتلت مركزا مهما في افريقيا الشرقية ثم تتجه السفن العمانية من كلوه إلى (سفالة) ويضيف المسعودي قائلا عن سفالة: (وهي اقاصي بلاد الزنج وإليها تقصد مراكب العمانيين.. وهي غاية مقصدهم)، لقد كان السفر إلى سفالة هو آخر مرحلة للسفن العمانية وقد كان الذهب هو أهم السلع التي يحصل عليها العمانيون ولذلك سميت سفالة (بارض الذهب والتبر).

أما المنطقة الواقعة جنوب سفالة فقد أطلق عليها الجغرافيون العرب (بلاد الواق واق) وهي منطقة لم تصلها نشاطات التجار العرب والسبب كما يشير الإدريسي: (ففي الواق واق مدينتان حقيرتان وسكانهما قليل لضيق عيشهما وتكد رزقهما وليس بارض هؤلاء القوم شيء من الذهب ولا يخرج من عندهم نجارة ولا مراكب ولا دواب).

يتضح مما سبق ان العمانيين قد ازدادت علاقتهم بشرق افريقيا خلال الفترة التي تلت ظهور الاسلام على انه لا ينبغي ان نتفق مع ما ورد ذكره في بعض المصادر من أن مدن شرق افريقيا الاسلامية قام اقتصادها على أساس نجارة الرقيق، وانما كانت الحركة الاقتصادية تعتمد على نجارة العاج والذهب والجلود والمواد العطرية والاحشاب ومن المعروف ان العلاقات الاقتصادية والتجارية بين أوروبا والشرق كانت تعتمد على وساطة العرب التجارية، الذين كانوا يحملون بضائع الهند وفارس والشرق الاقصى إلى الخليج العربي والبحر الاحمر ومنها إلى البحر المتوسط أما نجارة الرقيق فكانت شيئا استثنائيا في نجارة شرق افريقيا ولم تصل إلى درجة من الانتعاش إلا منذ القرن السادس عشر الميلادي وهي الفترة التي شهدت تقدم طلائع الاستعمار الاوروبي واعتقادنا ان الاوروبيين هم الذين شجعوا هذه التجارة وضاعفوا من أهميتها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

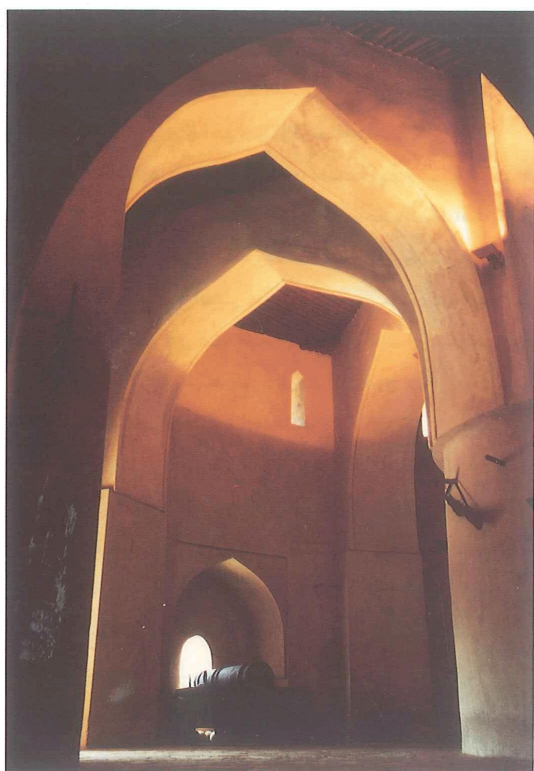
وإذا كان بعض الافراد من العرب قد مارسوا هذا النوع من التجارة إلا ان الاوروبيين قد توسعوا بشكل مخطط ومحكم وقامت من أجل ذلك شركات كبيرة، كما تأسست العديد من المراكز التجارية التي عقدت الاتفاقيات ووضعت الخطط ودبرت الفن واوقتت بين القبائل الافريقية بهدف استغلال الثروة البشرية الافريقية بعكس العرب الذين عنوا بالزراعة والتجارة بل



قيام دولة اليعاربة ٦٢٤م



قلعة الرستاق مركز حكم دولة اليعاربة.





يستبيحون عاصمة الفرس بينما المالكي ينسقون مع البنادقة بهدف التصدي للبرتغاليين اما بقية القوى العربية في الخليج كالنباهنة والجبور وهرمز فقد اتسمت علاقاتهم بصراع مرير مما بدد من قوتهم جميعا.

وبينما البرتغاليون يجهبون على كل القوى كانت عمان تشهد ميلاد عهد جديد أرسى دعائمه الامام ناصر بن مرشد العربي المؤسس الحقيقي لدولة العاربية (١٠٣٤ - ١١٥٧ هـ/ ١٦٢٤ - ١٧٤٤ م) لقد استوعب ناصر بن مرشد التجربة التاريخية بذكاء شديد فأية محاولة لتحرير عمان من البرتغاليين مشكوك في نتائجها بينما الوطن ممزق إلى دويلات صغيرة، لذا فقد كان لزاما عليه ان يحارب في جبهتين، الحرب من أجل الوحدة والحرب من أجل التحرير.

ولا شك أن اجماع العلماء على اختيار ناصر بن مرشد اماما عام (١٦٢٤ م) يعد بداية عهد جديد في التاريخ العماني، حيث وضع أسس دولة العاربية، التي حكمت ما يقرب من مائة وعشرين عاما تميز عهدها بلامح رئيسية، لعل من أهمها تحقيق الأمن والاستقرار والرخاء، كما تميز عهدها بتطور هائل في البحرية العمانية، حيث أدرك الامام ناصر ان الحرب بينه وبين البرتغاليين حرب بحرية في المقام الاول، لذا أخذ على عاتقه بناء أسطول عربي يعتبر (اول اسطول منظم، أصبح في نهاية القرن السابع عشر القوة البحرية الاولى في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي).

وينتمي الامام ناصر بن مرشد إلى قبيلة يعرب، التي تعتبر بطنا من بطون بني نبهان وكانوا يتمتعون باستقلال في إدارة شؤونهم الذاتية، حيث اتخذوا من الرستاق مقرا لاقامتهم ونظرا لما اشتهر به الامام ناصر بن مرشد من الاستقامة والنزاهة والأقدام والتدين، لذا فقد اجمع أهل الرستاق على مبايعته اماما، وتؤكد المصادر العمانية أنه بعد وصول الامام ناصر إلى الحكم راحت تنهال على حصون انصار التجزئة الذين قاوموا بشراسة فكرة جمع شتات الوطن الكبير في دولة واحدة.

وبما ان منطقة الرستاق هي التي شهدت ميلاد امامة ناصر بن مرشد، لذا فقد كان عليه أن يبدأ بها، لهذا مضى ومعه جمع من انصاره نحو قلعة الرستاق وكان المالك للرستاق مالك بن أبي العرب اليعربي وبعد حصار لم يدم طويلا فتحها الامام ناصر متخذاً منها نقطة انطلاق

لعل من أهم التجارب الناجمة عن حركة التاريخ ان التآلف والتجانس بين عناصر المجتمع (أي مجتمع) تعد المقوم الأول لبناء قوته، ويقدر ما يتحقق هذا التآلف فإنه ينعكس على قوة المجتمع، كان ذلك قديما وقبل ان تتكون الدول القومية بمعناها الحديث وظل ذلك باقيا في كل عصر وفي كل مجتمع.

والمنتجع تاريخ عمان يلاحظ هذه الحقيقة بشكل أكثر وضوحا وخصوصا مع اقتراب القرن الخامس عشر الميلادي من نهايته، حيث عانت عمان من الفوضى السياسية مع اقتراب نهاية عصر النباهنة وبدأت عوامل الضعف تنال من كيان هذه الدولة كنتاج طبيعي لانقسامها إلى دويلات وممالك صغيرة، مما عجل بنهايتها.

والحقيقة ان تاريخ النباهنة لم يكن كله ضعفا وانما كانت هناك فترات قوة، حيث حكم عمان عدد من الحكام العظام، لعل أشهرهم فلاح بن محسن وفي فترات قوة الدولة وهيبتها تبدو الوحدة الوطنية أكثر وضوحا وفي ظل حاكم يتميز بقدر كبير من الحسم والأقدام تتبدد الانانية ويقوى الوطن في ظل اهداف كبيرة. ويبدو أن دولة النباهنة اخذت تنهار حينما بدأت تنهار هبة حكامها، حينما اسندت مناصب ولاية الاقاليم إلى من اشدت فسادهم، حيث اهدرت حقوق الناس، وراحوا يتطلعون إلى زمامد من الزائمة العظام.

وإذا كانت الحروب الأهلية، مع نهاية عصر النباهنة قد صرفت الناس عن الاهتمام بأمر معيشتهم مما أسفر عن تدهور ملحوظ في الحياة الاقتصادية والاجتماعية إلا ان الغزو البرتغالي قد اجهز على البقية الباقية ولما كانت السواحل العمانية في مقدمة المناطق وقوعا تحت السيطرة البرتغالية، لذا فقد عمد البوكيرك إلى حرق المدن وتدمير السفن الراسية في الموانئ العمانية.

وهكذا توافق الغزو البرتغالي مع أشد الفترات ضعفا في تاريخ عمان مما سهل على الغزاة مهمتهم وعلى الرغم من كل ذلك فقد سجل التاريخ صورا من المقاومة العمانية الباسلة.

واللافت للنظر ان كل القوى العربية والإسلامية كانت مستهدفة وعلى الرغم من ذلك فلم يحدث أي قدر من التنسيق، بل اتسمت العلاقات بين كل القوى العربية والإسلامية بقدر كبير من التصارع فما هم العثمانيون

لتوحيد الوطن كله.

لقد اجمعت مصادر التاريخ العماني على أهمية الدور الذي لعبه الشيخ خميس بن سعيد الشقصي، الذي كان موضع ثقة أهل الرستاق، حيث ساند الإمام ناصر في كل خطواته بدءاً من اختياره اماماً وانتهاه بالجيش التي قادها في سبيل تحقيق الوحدة ومن الصعب اغفال زعامات قبلية ودينية بذلت جهداً كبيراً من أجل الوحدة.

جهود الإمام ناصر بن مرشد في إعادة الوحدة الوطنية

لعل في مقدمة الدروس التي استخلصها الإمام ناصر بن مرشد من تاريخ عمان أن كل الأعمال الكبيرة، التي انجزها العمانيون نمت من خلال وطن موحد، تستثمر امكاناته البشرية والاقتصادية بما يعود بالمصلحة على الجميع ومن أجل ذلك كان العمانيون لهم السبق، عبر الحضارات المتعاقبة وحينما تطل الفتنة برأسها وينقسم الوطن إلى ممالك ودويلات صغيرة يحدث الانحسار والتدهور، لذا فقد استوعب الرجل تاريخ وطنه بوعي وإدراك شديدين.

لقد وضع الإمام ناصر بن مرشد أولويات العمل الوطني، فلم يكن من المعقول أن يبادر بتحرير بلاده من القوات البرتغالية بينما الوطن مقسم، لهذا كان من الضروري أن يبدأ بجمع الشمل وتوحيد الكلمة وجميع مصادر التاريخ على أن الإمام لم يبادر بإعلان الحرب إلا بعد أن استنفذ كل الجهود الدبلوماسية، من أجل ذلك فقد كتب إلى أهل (نزوى) يدعوهم إلى جمع الشمل إلا أن هذه الدعوة لم تصادف رغبة بعض أهلها، لذلك عجل بالسير إليها بنفسه وعندما أدرك أن الحرب واقعة لا محالة فضل العودة إلى الرستاق، حيث جاءه وفد من سمائل برئاسة ملكها مانع بن سنان العميري معلناً مبايعته وبما أن نزوى كانت موضع اهتمام الإمام ناصر بن مرشد لأهميتها التاريخية والدينية، فقد توجه إليها من سمائل، حيث كان لعامل المباغنة أكبر الأثر في إجماع أهلها على مبايعته.

ولافت للنظر أن الإمام ناصر بن مرشد كان حريصاً على عدم إراقة دماء المسلمين، لذا فقد استخدم كل وسائل الاقتناع والحجة وما كان يلجأ إلى الحرب إلا إذا حتمتها

الظروف وفرضتها المصلحة العامة.

ونظراً لثقل المهمة التي كان يقوم بها الإمام وما كانت نحتمه من مواجهات عسكرية ضد أنصار التجزئة فقد كان يقيم في كل المناطق التي يدخلها عنوة بعضاً من الوقت ثم يغادرها إلى مناطق أخرى تاركاً بعض أنصاره لمواصلة مهمته في ترسيخ مبادئه ومواصلة دعوته التي أخذت تنساب في كل أرجاء عمان، ومما يؤكد صعوبة المهمة التي مضى الإمام ناصر في سبيل تحقيقها كثرة الممالك التي أقيمت على مقومات قبلية، بحيث يصعب التمييز بين القبيلة والحكومة.

ومن الظواهر اللافتة في سياسة الإمام أنه كلما حقق قدراً من الانتصارات في سبيل تحقيق الوحدة راح يترتب ترقباً لرد فعل قد يحول دون إراقة الدماء إضافة إلى التقاط الأنفاس وترتيب الجند والعودة لتفقد أحوال المناطق التي دخلت في حوزته وهي سياسة حكيمة تعددت فوائدها على كل المستويات.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن زهد منطقة الظاهرة كان من أصعب العمليات التي واجهها الإمام، حيث استشهدت أعداد كبيرة من بينهم شقيق الإمام (جاعد بن مرشد) مما دفع الإمام ناصر إلى أن يتولى بنفسه قيادة العمليات العسكرية مما كان سبباً في إعادة السيطرة على الموقف، بعد أن ارتفعت معنويات الجند، الذين قاتلوا بشجاعة منقطعة النظير في مناطق عبري وحسن الغبي وكافة مناطق الظاهرة وتؤكد للإمام أن زهد أهل الظاهرة مرده إلى مؤامرات ناصر بن قطن، الذي حوَصر في قلعته إلى أن استنجد بالإمام متوسلاً العفو منه.

كما أدرك الجبور أن وحدة البلاد تتعارض مع مصالحهم المباشرة، لذا فقد تمكنوا من إثارة القبائل التي نحت سيطرتهم ووصلت مخططاتهم إلى درجة التآمر على اغتيال الإمام ناصر، لذا فقد واجههم الإمام ودارت معركة كانت من أشد المعارك ضراوة وانتهز الجبور واتباعهم وقتل منهم أعداداً كبيرة وعلق الأوكوي على هذه المعركة قائلاً: (لقد كثر القتل في البغاة، حتى قيل أنهم عجزوا عن دفن موتاهم فكانوا يجعلون السبعة والثمانية في خبة).

وقد اعتمد الإمام على سياسة النفس الطويل ولا بأس من مهادنة خصومه أحياناً ومباغتهم في بعض الأحيان فما هو



السفن، التي شهدت طفرة كبيرة منذ الكشوف الجغرافية، لذا فإن سياستهم الاستعمارية اعتمدت على احتلالهم لكثير من المدن والقلاع والحصون التي تقع في طريق البحار والمحيطات دون اللجوء إلى التعمق في اليابسة.

وهكذا أدرك اليعاربة إمكانات عدوهم القادم من أقصى الطرف الأوروبي كدولة بحرية خاضت معارك شرسة في سبيل الحفاظ على مصالحها الاستعمارية، لذلك كانت العناية بالأسطول وتنمية الموارد الاقتصادية وتلاحم الشعب العماني في مقدمة الركائز الأساسية التي اعتمد عليها اليعاربة الذين طوروا أسطولهم التجاري والعسكري مستفيدين من الخبرة الإنجليزية في هذا المجال.

وكان انتزاع صور وقريات من أيدي البرتغاليين في مقدمة العوامل التي ضاعفت من تماسك العمانيين وكانت بمثابة اختبار عملي لنجاح الوحدة التي خاض اليعاربة من أجلها حروبا ضارية.

لم يكن انتزاع صور وقريات عملية سهلة فقد كان التباين واضحا بين حجم وكفاءة القوتين المتنافستين إضافة إلى سياسة الوفاق التي استجذبت بين البرتغاليين وشركة الهند الشرقية البريطانية ابتداءً من عام (١٦٣٤م). لقد كانت المتغيرات السياسية، سواءً المحلية أو الدولية في مقدمة عوامل كثيرة جعلت اليعاربة يناضلون في ظروف أشد قسوة إلا أن نجاحهم في تحقيق الوحدة الوطنية إضافة إلى المشاعر الدينية الجياشة، التي فاقت أية مشاعر وطنية كل ذلك جعل عرب عمان يقبلون على التضحية بنفس راضية وبحماس ورغبة في الاستشهاد وهي عوامل كان يفتقدها البرتغاليون المتحصنون في الثغور العمانية.

ومن الملاحظ أن اليعاربة قد استثمروا إمكاناتهم بكفاءة عالية ولعل صدار كانت اقليما استراتيجيا هاما في سياسة اليعاربة، لذا فقد ضربوا عليها حصارا شديدا بينما تحصن البرتغاليون داخل القلاع والحصون وراحوا يمحطون قوات الامام بوابل من نيران مدفعيتهم مما دفع الامام إلى بناء قلعة لكي يتحصن فيها العمانيون في مواجهة القلعة البرتغالية.

وبمجرد ان علمت القبائل العمانية بحصار صدار راحوا يتدققون من كل صوب وخصوصا من مناطق لوس ويات وكافة المناطق المتاخمة لصدار وبينما العمانيون قد ضربوا

ببعث بسراياه إلى المناطق التي استعصت عليه لمناقشة خصومه وبعد ان يستوثق من موقفهم يكون قرار الحرب.

لقد ظهرت بطولات نادرة خلال الحروب التي لم تتوقف فيها هو محمد بن غسان النزوي يقود العمليات ضد الجبور في (الجو) ناحية البريمي ثم يحقق انتصارا عظيما يتوجه بعده إلى (لوس) التي استعصى فتحها على قوات الامام بسبب تحصيناتها وكثرة المدافعين عنها مما اضطر محمد بن غسان النزوي إلى طلب العون من القبائل القريبة من صدار، التي كانت تتطلع إلى قوات الامام وتتربص بانتصاراتها بهدف التعجيل بمواجهة البرتغاليين الذين انزلوا بصدار وأهلها أبشع انواع الممارسات مما دفع بأهل صدار إلى ترك مدينتهم واللجوء إلى المناطق البعيدة ترقباً لجولات أخرى. وهكذا كان الامام ناصر بالنسبة إليهم بمثابة المنقذ من نير الاحتلال.

وقد تمكن محمد بن غسان بمساعدة القبائل من السيطرة على (لوس) حيث بدأ التفكير عمليا في صدار وهكذا استطاع الامام ناصر خلال سنوات حكمه (١٦٢٤ - ١٦٢٩م) من ان يعيد لعمان وحدتها وتماسكها ويؤمنها إلى حد كبير من الاخطار الخارجية وكانت محاولاته نحو الوحدة مبعث امل كبير وينفرد هذا الامام العظيم من بين أئمة اليعاربة بأنه حارب على جبهتين - الساحل والداخل - في وقت واحد فكلما هدأت الأوضاع في الداخل راح يواجه القوات البرتغالية على الساحل وكلما حقق انتصارا على الساحل عاد إلى الداخل لمواصلة حروبه من أجل ان تكون عمان وطنا موحدا، وعند وفاة الامام ناصر بن مرشد (٢٣ ابريل ١٦٢٩م) كانت كل القبائل العمانية تحت لواء واحد وانتهت إلى غير رجعة مرحلة التمزق والتشتت وبدأت مرحلة جديدة من الوحدة في ظل حكومة مركزية.

الحرب من أجل التحرير

أدرك الامام ناصر بن مرشد ان مواجهة البرتغاليين على السواحل العمانية في حاجة إلى إمكانات أخرى تفوق تلك الإمكانيات التقليدية التي اعتمد عليها اليعاربة في حروبهم ضد القبائل الرافضة لسلطة الدولة المركزية. لقد وقعت كل المعارك التي خاضها اليعاربة ضد القبائل على اليابسة أما البرتغاليون فقد كانوا أهل بحار ووسيلتهم في الحرب هي



داخلها جنودا اشداء، اخذوا يمحطون القوات العمانية بوابل من نيران مدافعهم.

وقد استطاع سلطان بن سيف ان يضرب حصارا على القوات البرتغالية وبينما الحصار قائما تمكن بعض الهنود من تقديم معلومات للإمام على درجة كبيرة من الخطورة دفعت بقواته إلى الدخول بينما الحامية البرتغالية قد أخذت على غرة مما أفقدها القدرة على المواجهة ومن ثم كان الانهيار والاستسلام (ديسمبر ١٦٤٩م).

لقد أصيب البرتغاليون بخسائر جسيمة، حيث قتل معظم جنودهم وكل المحاولات التي قاموا بها في الهند لإمداد مسقط باءت بالفشل وبنهاية (١٦٥٢م) لم يبق للبرتغاليين في الخليج إلا وكالتهم في كينج.

لم يتوقف العمانيون عن مطاردة خصومهم حتى بعد ان اعتصموا في وكالتهم في كينج على الساحل الشرقي من الخليج، وراح العمانيون يتعقبون عدوهم في الهند وشرق أفريقيا مما جعل الملاحاة بين الوكالة التجارية للبرتغاليين في كينج وبين شرق أفريقيا والهند تبدو مستحيلة في ظل احكام العمانيين سيطرتهم على الخليج العربي والمحيط الهندي.

لا شك ان اليعاربة قد اعتمدوا على قوتهم الذاتية مع قدر من المرونة الدبلوماسية في إطار العلاقات الدولية مستفيدين من تضارب المصالح بين القوى الأوروبية المتنافسة وهو جهاد لا يقل أهمية عن الحرب، مما عاد على الدولة بقدر كبير من القوة والمنعة وخصوصا فيما يتعلق بتطور البحرية العمانية اعتمادا على أحدث الخبرات الأوروبية في هذا المجال.

لقد انطلقت السفن العمانية لتصفية الجيوب البرتغالية على السواحل الفارسية، مما اضطر الحامية البرتغالية في كينج إلى الانسحاب نهائيا، مما أوجد نوعا من المواجهة المباشرة بين العمانيين والفرس الذين راحوا يتضامنون مع الانجليز والهولنديين ضد النشاط البحري العماني بحجة محاربة القرصنة، التي لم تكن من وجهة النظر القانونية إلا نوعا من مشروعات الكفاح المسلح ضد قوى اجنبية استباححت لنفسها حق الغزو والاحتكار والنهب.

وتشير المصادر التاريخية إلى الازدهار الاقتصادي الذي حققه اليعاربة وخصوصا مع نهاية عصر سلطان بن سيف فقد

حصارا على صحر إذا بالإمام ناصر وقد بعث بسرايا أخرى إلى مسقط بقيادة خميس بن سعيد الشقصي وعلى الرغم من ان تلك السرايا لم تحقق نتائج حاسمة إلا أنها اربكت البرتغاليين في كل من صحر ومسقط مما مهد لسلسلة من الهجمات العمانية على كافة المعاقل البرتغالية.

وقد كان استيلاء الإمام ناصر بن مرشد على مدينة صحر (١٦٤٣م) نقطة تحول جديدة في المواجهة العمانية البرتغالية.

لقد كانت قوات ناصر بن مرشد في أشد الحاجة إلى التقاط الأنفاس وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت من تحرير كل المدن الساحلية العمانية ولم يبق إلا مسقط ومطرح، التي تمكن مسعود بن رمضان من محاصرتها في وقت تغشى فيه مرض الطاعون بين البرتغاليين ولعلها كانت فرصة مناسبة لكي يجهز العمانيون على عدوهم خصوصا وان القصف المستمر لقوات مسعود بن رمضان كان عنيفا لدرجة اربكت الحاميات البرتغالية بينما كان الطاعون يحصد ما يقرب من خمسين شخصا في اليوم الواحد.. ولم ينته هذا الحصار إلى تحرير مسقط ومطرح وانما نجم عنه ابرام هدنة جاء معظم بنودها في صالح العمانيين.

وقد امتد صراع اليعاربة ضد منافسيهم لفترات زمنية طويلة، تباينت فيها المواقف السياسية، إلا ان اصعب الفترات واطورها هي فترة الإمام ناصر بن مرشد، حيث كان يقاتل في سبيل التحرير والوحدة معا وقد كبده ذلك قدرا هائلا من الجهد والوقت حيث استخدم كل الامكانيات المتاحة بمهارة شديدة بما في ذلك المفاوضات السياسية التي لجأ إليها (٣١ أكتوبر ١٦٤٨م) وعند وفاته (١٦٤٩م) لم يبق تحت السيطرة البرتغالية إلا مسقط ومطرح.

كما واصل سلطان بن سيف الذي يبيع بالإمامة (ابريل ١٦٤٩م) جهاد الإمام ناصر بن مرشد، حيث ازدادت طموحات العمانيين وأدركوا بانهم قاب قوسين أو ادنى من تحرير بلادهم من احتلال دام اكثر من مائة واربعين عاما وأدرك الإمام الجديد أهمية الوقت كعامل هام في الاجهاز على البرتغاليين في الوقت الذي أخذ فيه البرتغاليون يضاعفون من تحصيناتهم في مسقط ومطرح وثبتوا مدافعهم الثقيلة في كل انحاء وزيادة في الحيطه حفروا خندقا عميقا حول الاسوار وعلى رؤوس الجبال بنوا مجموعة أبراج اقاموا في



الهندي، ولم يكتفِ اليعاربة بخبرتهم المحلية بل طوروا سفنهم مستفيدين من التقدم الكبير الذي طرأ على صناعة السفن الأوروبية.

ويبدو أن الأسطول العماني لم يملك ناصية الموقف نهائياً إلا عقب تحرير مسقط (١٦٤٩م) حيث راح الأسطول العماني يتعقب الأسطول البرتغالي على السواحل الهندية والإفريقية، وشهدت الفترة من عام (١٦٥٠ وحتى ١٦٥٢م) نشاطاً بحرياً عمانياً أقلق الإنجليز والهولنديين، حيث تمكن الإمام سلطان بن سيف من الاعتماد بالكامل على السفن الحديثة بنى بعضها في الهند والبعض الآخر تم شراؤه من الهولنديين، واستخدم المدافع المتطورة بنفس كفاءة المدافع الأوروبية وكانت بومباي في مقدمة المناطق التي شهدت هجوماً عمانياً مكثفاً وفرض العمانيون رسوماً جمركية على مناطق عديدة مثل جوا وبرسالور ومتغالي وباتيكالا مما وفر لهم قدراً معقولاً من الأموال التي استخدمت في تطوير السفن واقتناء أفضل الأسلحة المتطورة.

لقد كان تطور البحرية العمانية بشكل لافت خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر مؤشراً عملياً للتطور الاقتصادي، الذي حققه العمانيون خلال هذه الفترة والذي شعلت التجارة فيه حيزاً هاماً خصوصاً وأن نهاية الوجود البرتغالي في عمان بعد نهاية عملية لسياسة الاحتكار التي أملت بالخليج العربي والمحيط الهندي منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي.

أن تطور السفن العمانية بهذا الشكل الكبير لا يمكن أن يكون بسبب الاعتماد على السفن المشتراة من الإنجليز أو الهولنديين فقط وإنما اتخذ العمانيون من المراكز الصناعية في سورات ونهر السند وغيرها من المناطق التي لم يعرف الإنجليز أو الهولنديون عنها شيئاً مراكز لصناعة سفنهم بعيداً عن أعين الأوروبيين وهو ما تشير إليه بعض المصادر الأجنبية.

ويبدو أن الوصول بالأسطول العماني إلى الحد الذي تهابه أساطيل الدول الأوروبية لم يكن أمراً سهلاً، فقد استغرق ذلك جهداً ووقتاً وكانت عمليات التمويل في مقدمة الصعوبات إضافة إلى القلاقل والمشكلات الداخلية التي كانت تطل برأسها ما بين وقت وآخر.

وصل درجة (كادت أن تفيض البيضاء والصفراء من أيدي الناس) على حد قول السالمي.

لقد نجست ملاصق الوحدة الوطنية في أبهى صورها، حيث كان العدل هدفاً للرعي ونهجا للرعية، ولذا أقبل العمانيون على تشييد الحصون والقلاع وشق الأفلاج وغرس الأشجار مما عاد على عمان بالخير والمنعة.

الأسطول العماني في عصر اليعاربة

لقد كان انجاء اليعاربة ناحية البحر ضرورة استراتيجية فرضتها الثوابت التاريخية والحقائق الجغرافية، وبحكم موقع عمان التي يحدها الخليج العربي شمالاً وبحر العرب جنوباً وخليج عمان شرقاً وصحراء الربع الخالي غرباً، لذا كانت الصحراء دائماً (في ظنهم) عمان تدق باستمرار على بابها الخلفي، من أجل ذلك كانت قصة عمان مع الصحراء بمثابة فصل عادي في التاريخ العماني بينما كان البحر دائماً هو الركيزة الأساسية، وبانحاد البحر واليابسة معا تشكلت كل فصول التاريخ العماني.

وقد استطاع أئمة اليعاربة سواء في فترة قوة الدولة أو حتى في فترات ضعفها أن يضعوا أيديهم على العنصر الفاعل في التاريخ العماني وهو ارتباط البحر باليابس بشكل متناغم إدراكاً منهم لخطورة الموقع وأهميته. واللافت للنظر أن اليعاربة قد أدركوا أهمية الخطر الذي يواجههم والذي يعد في كثير من الحالات ظاهرة صحية، حيث شجذ الوعي القومي وعمق الاحساس بالوعي الديني والوطني وفي جميع الحالات أبعد احتمالات الانغلاق على الذات والمبالاة بالعالم الخارجي. لقد أدرك اليعاربة أن عدواً بعينه متربص بعمان يدفعها بقسوة ناحية الصحراء لأنه يرى فيها موطن الخطر ومكن القوة ومفتاح المنطقة، وخلال هذا الصراع تشكلت الثوابت الاستراتيجية التي حددت ملاصق دولة اليعاربة، التي أجادت لعبة التوازنات بين كافة القوى الأوروبية المتنافسة على الخليج.

وكنيجة طبيعية لكل هذه التحديات فقد اقتحم اليعاربة حياة البحر ونجحوا إلى حد هائل في إعداد قوة بحرية استطاعت تعقب البرتغاليين في الخليج العربي والمحيط

ويذكر دكتور فراير الذي زار الخليج في عهد سيف بن سلطان: ان العمانيين قد اكتسبوا امكانات بحرية هائلة وان نشاطهم يهدد بندر عباس لدرجة ان القرص طلبوا من الانجليز حمايتهم من العمانيين.. وقد اضاف لوكير LOCKER الذي زار مسقط في عهد سيف بن سلطان وشاهد واحدة من السفن العمانية وهي مجهزة بسبعين مدفعاً واطاف ان الاسطول العماني يمكن من اسر واحدة من اغنى سفن كلكتا وكانت تحت قيادة الكابتن ميرفيل MARVEL وعلى الرغم من اعمال الاسطول العماني ضد السفن الانجليزية الا ان الشركات الانجليزية التي تملك هذه السفن لم تقم بعمل مضاد ضد عرب عمان.

لقد عزا البرتغاليون انتصارات البحارة عليهم إلى امدادات واسلحة تلقوها من الانجليز وان السفن العمانية كان يقود معظمها ضباط انجليز وكانت ترفع العلم الانجليزي. والحقيقة ان هذا الادعاء حاولت ان تروج له الادارة البرتغالية لكن لم يثبت صحتة سواء من جانب الانجليز أو الهولنديين ولم تشر إليه كتابات الرحالة الاجانب، إضافة إلى ان الاسطول الانجليزي نفسه كان مستهدفاً من قبل البحرية العمانية وحدثت مصادمات كثيرة سواء في عصر سلطان بن سيف أو سيف بن سلطان.

والحقيقة ان المؤرخين والرحالة الاوروبيين قد ابدوا اهتماماً ملحوظاً بالتفوق الذي وصلت إليه البحرية العمانية، ويذكر البعض ان ائمة اليعاربة قد استطاعوا بفضل صداقتهم لامراء الهند ان يضمنوا جلب الأخشاب اللازمة لبناء السفن، وهناك عدة اتفاقيات عقدها اليعاربة مع حاكم مقاطعة بنجو في الهند ولعل ذلك ما دفع جون مالكولم إلى الاعتقاد بأن احسن الوسائل للقضاء على البحرية العمانية هو قطع الصلة بين عمان وامراء الهند.

ويمكن التعرف على المدي الذي وصلت إليه البحرية العمانية في عهد اليعاربة من خلال كتابات هاميلتون HAMILTON الذي ذكر ان البحرية العمانية كانت تتكون من مئات السفن الكبيرة ذات الحمولات المختلفة من المدافع الكبيرة والصغيرة.

ويضيف الرحالة فريزر أنه من الضروري عدم استغناء العمانيين إذ أننا لن نجني من وراء ذلك سوى ضربات تنهال علينا.

ووفقاً لتقرير كتبه ويلمسون WILMSOHN كمندوب عن الشركة الهولندية حينما أسندت إليه مهمة زيارة عمان عام (١٧٧٤م)، حيث يبدي اندهاسه بسبب افتقار العمانيين إلى بحارة منقطعين للعمل على السفن العسكرية، بل يتوافدون على السفن حينما يتطلب الموقف القيام بمهام عسكرية.

والحقيقة أن هذه الملاحظة لها دلالتها على اعتبار ان النشاط الاقتصادي والعسكري كانا متلازمين، ولم تعرف السفن العمانية الاحتراف بعناية الدقيق ففي وقت السلم ينصرف البحارة لممارسة نشاطهم الاقتصادي والتجاري وإذا ما تأزمت الأوضاع انصرف البحارة إلى مهامهم العسكرية، بعكس ما كان يحدث على السفن الأوروبية التي كان لها بحارة منقطعون للعمل في هذه المهام فقط.

لعل ذلك كان يضاعف من صعوبة المهمة التي يقوم بها البحارة، الذين كانوا يبنون بيد ويحملون السلاح باليد الأخرى وهي ظاهرة لم تعرفها أوروبا.

يمكن فهم طبيعة الموقف على ضوء الدوافع التي كان يقاتل من أجلها العمانيون، حيث كان الجهاد من أجل الدين والوطن طريقاً إلى النصر أو الاستشهاد وهي دوافع كان يفتقدها البرتغاليون.

وبوفاة سلطان بن سيف عام (١٦٧٩م) خلفه ابنه بلعرب بن سلطان الذي نقل مقر إقامته من نزوى إلى جبرين ومازال حصنه قائماً هناك بخطوطه ورسومات جدرانها فريداً في بنائه وشاهداً على ذوقه الرفيع. وتذكر بعض الروايات أن شقيقه سيف قد خرج عليه سنة (١٦٨٩م) وأرجعت هذه الروايات الخلاف بين الشقيقين إلى عزوف بلعرب عن الحرب وابرامه اتفاقاً مع البرتغاليين اعتقد سيف بأنه يحمل شروطاً مجحقة بحقوق العمانيين، لذا فقد قاد سيف بن سلطان جبهة المعارضة رافضاً الاعتراف بحقوق البرتغاليين واحتل حصون مسقط وجبرين ويمكن من السيطرة على زمام الموقف وحسم الموقف لصالحه حينما توفي شقيقه بلعرب.

لقد تعددت شهادات المعاصرين والمؤرخين في وصف البحرية العمانية في عهد سيف بن سلطان فقد كتب بروس BRUCE قائلاً: (كان الاسطول العماني هائلاً لدرجة أثارته الرعب في نفوس الاوروبيين وكل الدلائل تؤكد أنهم سيسيطرون على الخليج كله).



الهندي ويدمرون المدن والقرى ولكنهم لم يهاجموا الكنائس ولم يقتلوا اعزلا ولا طفلا وكانوا يعاملون اسراهم معاملة كريمة بخلاف البرتغاليين الذين كانوا يعاملون اسراهم معاملة وحشية) ويضيف هاميلتون: (لقد كان العمانيون يمنحون اسراهم بدل ارزاق مثلما يعطون لجنودهم نهما).

اليعاربة والعلاقات الدولية

تبدو امكانات اليعاربة في مقدرتهم على الاستفادة من المنافسات الدولية في بحر الشرق وتقديرهم لأهمية العلاقات

ويعترف المؤرخ الانجليزي كوپلاند COUPLAND بأن البحرية العمانية في بداية القرن الثامن عشر قد اصبحت تفوق أية قوة بحرية أخرى لدرجة ان الاساطيل الانجليزية والهولندية كانت تخشى مواجهة العمانيين، ويضيف مايلز MILES ان اليعاربة قد صارت لهم السيادة الفعلية على المحيط الهندي واصبحت سفنهم تنشر الرعب في قلوب الاوروبيين لمدة قرن ونصف.

وحيثما شعر العمانيون بأن فارس تنسق مع البرتغال بهدف اعادة احتلال مسقط راح العمانيون يشنون هجوما على نطاق واسع ضد بندر كنج وبندر عباس ودمروا المدينتين واستولوا على السفن الفارسية والبرتغالية، وفي عام (١٧١٧م) عاود

العمانيون هجومهم بهدف تحرير البحرين من الاحتلال الفارسي ونجحوا في ضرب حصار بحري على السفن الفارسية واخضعت قواتهم حصون جزيرة قشم ولارك وسيطروا على موانئ جنوب فارس ومنعوا السفن الفارسية من الملاحة في الخليج مما أحدث قلقا شديدا لدى الدوائر الأوروبية وخصوصا بعد ان اتخذ العمانيون من هرمز قاعدة لنشاطاتهم البحرية، وتشير التقارير الهولندية إلى ان عدد الحامية العمانية في هرمز تقدر بألف رجل يتناوبون على حراسة الجزيرة.

لقد استفذت فارس كل الوسائل الداعية لإقامة تحالف مع أي من الدول الأوروبية بهدف القضاء على البحرية العمانية والاجهاز عليها، إلا أن كل محاولاتهم قد باءت بالفشل وتؤكد كتابات المعاصرين لهذه الأحداث على سوء تقدير الفرس وتناقض مواقفهم بعكس العمانيين الذين اتسموا بصدق واحترام شديدين وخصوصا في معاملتهم لأهل الأديان الأخرى وحرية إقامة شعائرهم الدينية، ويذكر هاميلتون -HAM- ILTON: (لقد كان عرب عمان يشنون غاراتهم ضد البرتغاليين على الساحل



منظر من الداخل لحصن جبرين وتبدو هندسة التصميم وفن العمارة العمانية.



الانجليز أسلوب الدبلوماسية المرنه حرصا على مصالحهم المهددة في المنطقة، والاكثر من هذا ان العلاقات العمانية الانجليزية تنامت في عهد سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٧٩م) ونجح العمانيون في اقامة علاقات متوازنة بين الانجليز والهولنديين مما ضاعف من زجاج المواجهة العمانية البرتغالية وراح الاسطول العماني يتعقب السفن البرتغالية في المحيط الهندي وسواحل شرق افريقيا وسواحل الهند، حيث هاجموا قاعدتهم في ياسين كما نجحت مجموعات عمانية اخرى في شن حملات مماثلة على سواحل كجرات وميناء بومباي وكانت معركة جزيرة سالت من انجح هذه العمليات.

ومما يجدر ذكره ان حجم الانتصارات العمانية قد اذهلت القوي الأوروبية في الخليج العربي والمحيط الهندي لدرجة دفعت البرتغاليين إلى الاعتقاد بأن سبب الانتصارات المتلاحقة للعمانيين يرجع إلى المساعدات الانجليزية والهولندية، ولعل ادعاء البرتغاليين يمكن تفسيره على ضوء مقدرة العمانيين على التعامل مع الانجليز والهولنديين، سواء من حيث استثمار المنافسات القائمة بينهما والقدرة على زججهما احيانا والاستفادة من اسلحتها المتطورة في احيان اخرى، أو من حيث ابراز حجم التناقضات القائمة بينهما من جانب وبينهما وبين البرتغاليين من جانب آخر ومقدرة الدبلوماسية العمانية على استثمار عناصر التناقض وهي جهود لا تقل اهميتها عن الانتصارات العسكرية.

ويعتقد أحد الباحثين BOXER بأن الانجليز كانوا متعاطفين مع العمانيين بسبب الصراع المذهبي بين الانجليز (الانجليكان) وبين البرتغاليين المتعصبين لمذهبهم الكاثوليكي مع الوضع في الاعتبار ما خلفه البرتغاليون من سمعة سيئة بسبب سياسة الاحتكار، التي بالغوا في تطبيقها مما ألحق ضررا بليغا بالمصالح الاقتصادية البريطانية.

ويضيف BOXER أن الانجليز لم يقدموا مساعدات كبيرة للعمانيين وان كان بعض الانجليز قد عملوا كبحارة لدى العمانيين دون تكليف من شركة الهند الشرقية البريطانية ودون علم الحكومة البريطانية.

ومع تقديرنا لوجهة النظر هذه إلا انه إذا كان ثمة تعاطف انجليزي مع العمانيين فإنه كان تعاطفا تكتيكيا حكمته مصالح سياسية واقتصادية يمكن فهمها في اطار سياقها التاريخي القائم وقتئذ بحكم القلق الذي انتاب

المتوازنة مع القوي الأوروبية المتنافسة على الخليج العربي ابتداءً من النصف الثاني من القرن السابع عشر، وتتميز دولة اليعاربة بأنها قد نهكت ومنذ عصر ناصر بن مرشد من أن تستثمر امكاناتها الذاتية، حيث امتزجت امكانات البحر باليابس بطريقة متناغمة شكلت منظومة رائعة اعطت عمقا استراتيجيا دفع بعمان إلى ان تكون القوة العربية الوحيدة في منطقة الخليج القادرة على مواجهة كافة الاطماع الأجنبية والإقليمية.

وتشير المصادر الأجنبية إلى ان الامام ناصر بن مرشد تمكن من زجج الانجليز خلال صراعه مع البرتغاليين وبينما القوات العمانية نهكت الخناق على البرتغاليين اقتصاديا كانت شركة الهند الشرقية البريطانية تتفاوض مع العمانيين (١٦٤٥م) لاقامة علاقات اقتصادية وسياسية من خلال بعثة انجليزية ترأسها فيليب وايلد WIELD الذي وصل إلى صحر وأبرم اتفاقا مع الامام ناصر بن مرشد يعطي للانجليز حق حرية التجارة في مسقط وحرية ممارسة شعائرهم الدينية.

وخلال عصر الامام سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٧٩م) نجح العمانيون في إقامة علاقات متوازنة مع كل القوي الأوروبية، ولم يجد سلطان بن سيف غضاة في تنمية علاقاته مع الانجليز واستقبل الكولونيل رينسفورد RAINS-FORD بصفته مندوبا عن شركة الهند الشرقية (١٦٥٩م)، وأثمرت المفاوضات عن منح الانجليز احدى القلاع في مسقط على ألا يزيد عدد الجند بها عن مائة وان يتقاسم العمانيون والانجليز الإيرادات الجمركية مقابل العمل على تنمية موارد مسقط بما يحقق المصلحة للطرفين، إلا ان العمانيين لم يتحمسوا لتنفيذ بنود هذه الاتفاقية بسبب تنامي المصالح الهولندية في المنطقة وتراجع دور الانجليز، ولعلها كانت فرصة مناسبة لسلطان بن سيف الذي ادرك خطورة التنازل عن احدى قلاع مسقط لوحدة من اكبر القوي الأجنبية ولعل ما يفسر تراجع سلطان بن سيف عن تنفيذ اتفاقية (١٦٥٩م) مع الانجليز ذلك التفوق الهائل الذي حققه الهولنديون على الانجليز خلال الفترة من (١٦٥٤م وحتى ١٦٨٤م)، حيث انتزع الهولنديون معظم النشاطات الاقتصادية في الخليج.

وعموما فإن عدم تنفيذ اتفاقية (١٦٥٩م) لم يتسبب في توتر العلاقات العمانية الانجليزية خصوصا وقد استخدم

ومن الصعب وضع بدايات محددة للوجود العماني في شرق إفريقيا، لكن من الثابت أن العبرين الأموي والعباسي قد حفلا بنشاط إسلامي مزدهر في شرق إفريقيا مما يؤكد أن تواجدا عمانيا وعربيا كثيفا قد سبق هذه المرحلة، حيث قدم العمانيون فرادى وجماعات عبر فترات ممتدة للاستيطان أحيانا أو للتجارة في كثير من الأحيان، وبمضي الزمن اختلطوا بالأفارقة وتزوجوا من نساءهم وأسسوا مراكز تجارية وحضارية شكلت في مجملها نسيجاً اجتماعياً وثقافياً جديداً.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن هجرات عمانية كثيفة قد أقامت في الساحل الإفريقي خلال عصر عبد الملك بن مروان وأسس العمانيون مدناً إفريقية مثل ماليندي ومباسا وكلوه وبات.

وإذا كان العمانيون قد أقاموا في الساحل الإفريقي وأصبحوا جزءاً من نسيج المجتمع لكن الالفة للنظر - وفقاً لشهادة الرحالة العرب والأجانب - هذا المستوى الحضاري ودرجة الرقي وازدهار التجارة التي وصلت إليها المدن الإفريقية ويؤكد المسعودي الذي زار الساحل الإفريقي في القرن الرابع الهجري أن الإمارات العربية الإسلامية تمتد من مقديشو شمالاً وحتى سفالة (موزمبيق) جنوباً.

ومع بداية القرن السادس عشر الميلادي شهد الساحل الشرقي لإفريقيا موجات من الهجرات الجماعية، وقد أشاد كثير من المؤرخين الأوروبيين بالمؤثرات الحضارية لعرب عمان، سواء من حيث أساليب الحياة أو مظاهر الثقافة العربية والإسلامية أو حتى ملاحة المدن التي تؤكد هويتها العربية.

ويعطي دورات باربوسا BARBOSA الذي زار الساحل الإفريقي عام (١٥١٨م) وصفاً دقيقاً لمشاهداته قائلاً: (ما أن وصلت مراكب فاسكو دي جاما إلى سفالة، حتى فوجئت بما لم يكن متوقعاً، حيث البحارة يضربون عياب البحر والمرافئ تزدهم كخلايا النحل ومدناً ساحلية غاية في التقدم ورجالاً لديهم دراية عالية بعبور المحيط الهندي ومعرفة دقيقة بمرافئه ولديهم خرائط متقنة لا تقل فائدة عما في يد الأوروبيين ومدناً عامرة لا تقل نشاطاً عن مدن البرتغال وتجارة بحرية نافعة كالذهب والحديد والعاج والخز والجلود والقمشة القطنية.. لقد وجد البرتغاليون عالماً

والخارج، كل ذلك حدث في وقت قياسي لم يستغرق أكثر من عقد ونصف من الزمان، وبنفس السرعة أيضاً أخذت مقومات الدولة تتهاوى، حيث أطلت الفتنة برأسها وانقسم الناس بين مؤيد لهذا أو مناصر لذلك، وشاء القدر أن يخرج من نسيج المجتمع العماني رجل آلى على نفسه أن يتصدى لكل عوامل الضعف ولأنه كان شخصية شديدة الانضباط شديدة الجراءة، لذا فقد اتخذ من صغار رمزا للوطن الكبير ومن هذه المدينة التاريخية انطلقت المقاومة التي قادها الامام أحمد بن سعيد عن اقتدار لكي ينهي عصر الضعف من أجل أن تبقى عمان وطناً أبدياً وفاعلاً وحياً.

العمانيون وشرق إفريقيا خلال عصر البعارة

الحقيقة الثابتة في فهم تاريخ أي بلد ونقطة البدء لمعرفة تاريخ أي أمة هو فهم شخصيتها الاستراتيجية، ووفقاً لمقولة الجغرافي العربي الشهير جمال حمدان وهو يحدد الملامح الاستراتيجية للأقاليم الجغرافية المثالية، حيث يجتمع الموقع الجغرافي الأمثل مع الموضع الطبيعي المثالي وذلك في توازن وتناسب نادر المثال.

وأعمال هذا التوصيف على موقع عمان الجغرافي وموضعها الطبيعي يتناسب إلى حد كبير في القياس، حيث يتفاعل الناس مع بيئتهم الجغرافية بطريقة متناغمة، ويتحاور الماء واليابس ليشكلا معاً منظومة متناغمة كونت في مجملها كل مراحل التاريخ الفاعل في تناسق دقيق وشبه محسوب.

والعمانيون منذ فجر التاريخ قد ركبوا البحر واتخذوه وسيلة للرزق والمغامرة، وكانوا من أوائل الشعوب التي عرفت حركة الرياح وسرعتها، لذا فقد كان لرياح المحيط الهندي التجارية الموسمية أثر كبير في تدفق العمانيين نحو ساحل إفريقيا الشرقي، فحينما تشتد الرياح الموسمية الشمالية الشرقية منذ منتصف ديسمبر حتى نهاية فبراير من كل عام، تتدافع السفن العمانية ذات الشراع المفرد الثلاثي الشكل خلال رحلة منتظمة إلى شاطئ شرق إفريقيا.

وما بين إبريل وسبتمبر تأخذ الرياح التجارية الجنوبية الغربية في الهبوب، حيث تتدفع السفن عائدة مرة أخرى.



العمانيون من تواجدهم في المحيط الهندي، لدرجة ان المدن الواقعة شمال رأس دلجادو قد تخلت تدريجيا من السيطرة البرتغالية مما اتاح للدين الاسلامي الانتشار دون عقبات.

لقد ذكر بعض المؤرخين الاوروبيين ان تجارة الرقيق قد انتعشت في عصر اليعاربة وهو قول لا يمكن التسليم به مطلقا، لان العرب اذا كانوا قد مارسوا هذا النوع من التجارة فانها كانت نشاطات فردية خالصة ولم يعرف ان دولة اليعاربة قد مارست مثل هذا النوع من النشاط ضمن انشطتها الاقتصادية وانها كان المحيط الهندي مجالا مائيا مفتوحا لكل النشاطات الفردية و الجماعية.

والا لفت للنظر ان تجارة الرقيق في غرب القارة لم نخط بنفس الاهتمام من المؤرخين الاوروبيين، حيث كان هذا النوع من النشاط التجاري يعتمد على خطط محكمة لاستغلال الثروة البشرية الافريقية، وتأسست من أجل ذلك الكثير من المراكز التجارية التي اقامتها دول اوروبية أبرمت الاتفاقيات ووضعت الخطط ودبرت الفتن بين القبائل الافريقية بهدف تحقيق أسوأ استغلال عرفته البشرية في تاريخها الحديث وما كان يتعرض له العنصر الافريقي من قسوة من جراء الرحلة القاسية، التي كانوا يساقون فيها من غرب افريقيا إلى مزارع الامريكتين عبر مياه الاطلنطي من خلال رحلة قاسية ومريرة، وكان ذلك كله يقع تحت سمع وبصر البابوية والامبراطورية الرومانية المقدسة.

وعلى الرغم من كل ذلك فإن المؤرخين الاوروبيين قد تغافلوا عن هذه الحقائق المؤلمة وصبوا جام غضبهم على العرب في شرق افريقيا.

نهاية عصر اليعاربة

عندما توفي سلطان بن سيف (الثاني) عام (١٧١٨م) اطلت الفتن برأسها من جديد وعادت الحروب الاهلية لأكثر من ثمانية عشر عاما وانقسمت القبائل بين مؤيد لولاية سيف بن سلطان، الذي كان ما يزال صيبا صغيرا لم يبلغ بعد مبلغ الرجال، وبين مبايعة مهنا بن سلطان، الذي وجد فيه البعض كل الشروط التي يجب توافرها في الامام بعكس سيف الذي قيل بأنه لا يجوز أن يؤم الناس في الصلاة فكيف يؤمهم في شؤون الحياة؟ واعتقد البعض ان في ولايته خروج

تجاريا أوسع من عالمهم وأكثر ثراء من بلادهم، حتى السفن العربية كانت اكبر حجما من سفن البرتغال).

لقد أدرك أئمة اليعاربة أهمية موقع بلادهم الاستراتيجي وهي قوة برمانية تضع قدما على اليابس واخرى على الماء وهي بذلك تجمع بين قوة البر والبحر بدرجات متفاوتة، لكن كان نداء البحر دائما أقوى تأثيرا من جاذبية القاعدة مما أعطى للعمانيين قوة دفع حضاري. من هنا فقد اعتبر العمانيون أن سواحل شرق افريقيا تعتبر عمقا استراتيجيا بحكم طبيعة الصراع العماني البرتغالي، لذا فإن محاولاتهم الناجحة في تتبع عدوهم على سواحل الهند وشرق افريقيا يعد رؤية جديدة لمفهوم الامن القومي الذي تجاوز البحار والمحيطات.

ومع بدايات النصف الثاني من القرن السابع عشر اخذت تتوالى النجذات العمانية لشرق افريقيا تلبية لنداءات بني وطنهم وعقيدتهم، وراح الاسطول العماني يتعقب البرتغاليين في ممباسا (١٦٥٥م) وبمبا وزنجبار. والحقيقة ان تعاون الافارقة مع العمانيين كان وسيلة فاعلة في حسم قضية الصراع، ولعل عنصر المقاومة بين البرتغاليين والعمانيين كان من أهم الاسباب التي دفعت الافارقة إلى التعاون مع العمانيين، الذين لم يستأثروا لانفسهم بميزة خاصة وانها كانوا رسل حضارة وعمران، ولقد كان لسلوكيات الانسان العماني وقيمه ورصيده الحضاري عامل السبق في كسب ثقة المواطن الافريقي.

وبوفاة سلطان بن سيف (١٦٧٩م) خلفه ابنه بلعرب بن سلطان الذي أقسم ليحرر ممباسا أو يموتن دونها، لأن البرتغاليين قد أعادوا سيطرتهم عليها عقب عودة سلطان بن سيف إلى عمان، لكن الصراع بين بلعرب وأخيه سيف قد انعكس على اوضاع شرق افريقيا لدرجة ان مدنا محررة قد عاود البرتغاليون السيطرة عليها ثانية مثل مالندي وقازا وباتا ولا مو مستخدمين كل وسائل الابادة الجماعية، وحينما استردت عمان أنفاسها عاود العمانيون نشاطهم العسكري وحققوا انتصارات هائلة، لعل من أهمها تحرير ممباسا (١٦٨٤ ديسمبر ١٦٩٨م)، التي عدها المؤرخون الاوروبيون نهاية للتفوق البرتغالي في شرق افريقيا حيث عاود العمانيون بعد ذلك سيطرتهم على بمبا وكلوه وباتا وزنجبار.

وما كاد القرن السابع عشر يقترب من نهايته حتى ضاعف



على المؤلف والشرع.

ومما يستلفت الانتباه ان العلماء لم يخرجوا عن البيعة في نطاق اسرة اليعاربة، ولما كان موقف العلماء يختلف عن موقف عامة القبائل فانهم لم يجروا على مبايعة مهنا علنا، وطبقا لما ذكرته المصادر العمانية فإن العلماء لجأوا إلى حيلة حين جاءوا بالصبي (سيف) وأوقفوه أمام جمهور المسلمين ونادوا أمامكم سيف (يفتح الهمزة) وهو إعلان يمكن تفسيره أمامكم أو أمامكم (بفتح أو الكسر) وبهذا أمكن تقادي موقف المعارضة حتى هدأت العاصفة فعمد العلماء إلى إدخال مهنا إلى قلعة الرستاق ونادوا به إماما عام (١٧١٩م).

لقد قوبلت بيعة مهنا بن سلطان بمعارضة شديدة، ولم يمض عام واحد على ولايته حتى تمكن أحد المناوئين له وهو يعرب بن بلعرب من إجباره على التنازل عن الإمارة ثم قتله عام (١٧٢٠م).

وعلى أثر ذلك انتقل يعرب إلى مدينة نزوى مستصحباً معه الإمام (الصبي) سيف بن سلطان وأصبح يعرب مسيطرا على عمان مؤكداً أنه لا يطالب بالإمارة لنفسه لأنها من حق سيف، وإن مهمته تقتصر على مهام الوصاية فقط. لكن بلعرب بن ناصر تمكن من الإطاحة به وأعلن نفسه وصيا على سيف بدلا من يعرب بن بلعرب ووجد البيعة ثانية للإمام الصغير (سيف).

لم يستسلم الوصي المخلوع - يعرب - وإنما عقد اتفاقا مع محمد بن ناصر الغافري، الذي راح يحض بعض القبائل ضد بلعرب بن ناصر مما أدخل البلاد في حرب أهلية أجهزت على الرصيد الحضاري الذي خلفه الأئمة العظام أمثال سلطان بن سيف وسيف بن سلطان، ونظرا لتدهور الأوضاع بشكل ملحوظ فقد لجأ سيف بن سلطان (الثاني) إلى فارس طالبا العون من نادر شاه، الذي كان قد فرغ من هزيمة الأسطول العثماني في البصرة وقام باحتلال البحرين وراح يتطلع إلى عمان، وهكذا وجد نادر شاه فرصة مواتية للسيطرة على مسقط التي كانت حلم الفرس دائما.

واستجابة لتلك الدعوة بعث نادر شاه بحملة بحرية كبيرة إلى مسقط بقيادة لطيف خان (مارس ١٧٣٧م)، وفي جلفار (رأس الخيمة) انضم انصار سيف إلى الحملة، التي زحفت على البريمي ثم عبري وارتكب الفرس أعمال عنف وقسوة ضد الأهالي مما أدى إلى استياء سيف الذي تمكن من العودة إلى مسقط بمفرده. ونظرا للمقاومة العنيفة التي قام بها العمانيون فقد

اضطرت السلطات الفارسية إلى طلب المساعدة من المؤسسات الإنجليزية والهولندية في بندر عباس.

وفي فبراير (١٧٣٨م) فشل القائد الفارسي الجديد (تقي خان) من السيطرة على صحار بعد أن حلت كارثة أخرى بالحميات الفارسية في بهلا وأزكي، حيث أبادها العمانيون في الوقت الذي ثار فيه الملاحون العرب في الأسطول الفارسي مما اضطر تقي خان إلى التراجع نحو جلفار، ثم وقع اشتباك بين القوات الفارسية والعربية قرب بهلا حقق فيه الفرس نصرا فتح الطريق أمامهم نحو مسقط في الوقت الذي فر فيه الإمام سيف إلى البريمي معبرا عن ندمه مبديا استعدادة للتكفير عن موقفه الخاطئ، وانقسمت القبائل بين مؤيد له ومؤيد لسلطان بن مرشد، الذي أجمعت بعض القبائل على اختياره إماما.

وفي محاولة من سيف لجمع القبائل حوله فقد بادر بقيادة المقاومة العمانية التي أبدت استبسالاً شديداً، وتعبت الفرس في مياه الخليج وأعلن سيف عن تصميمه على نقل المعركة إلى داخل الأراضي الفارسية وناشد كل القبائل العربية في الخليج تزويده بالمقاتلين وتمكن من الوصول إلى البحرين وبندر عباس.

لعل النجاح الذي أحرزه الإمام سيف قد واكبه تدهور الأوضاع في فارس، حين دبت الثورات في كثير من المقاطعات مما أدى إلى انسحاب القوات الفارسية من عمان الأمر الذي أتاح الفرصة لسيف لكي يعود إلى ممارسة بعض السلوكيات التي لا تتناسب ومنصبه مما أغضب غالبية العمانيين، الذين ثاروا عليه وأعلنوا خلع عاقدين البيعة لسلطان بن مرشد وللمرة الثانية لجأ سيف إلى رأس الخيمة حيث استجد بالفرس وأعدا نادر شاه بالسيادة الفارسية على جميع الأراضي العمانية.

والإفاقت للنظر ان سيف بن سلطان لم يستفد من تجاربه السابقة حيث أدخل بلاده في اتون حرب أهلية واسلمها إلى أعدائها التقليديين فضلا ان يكون حاكما على وطن محتل.

ومرة ثانية اصدر نادر شاه أوامره إلى تقي خان بالتوجه لاحتلال عمان ونجح الفرس في فرض حصار بحري على صحار في الوقت الذي تقدم فيه سلطان بن مرشد لمواجهة الحصار، الذي استمر قرابة سبعة أشهر وبعدها سقطت المدينة في أيدي الفرس، إلا ان حصونها بقيت تحت السيطرة العمانية، لذا فقد ألحقت المدفعية العمانية هزائم كبيرة بالقوات الفارسية.



الإمام أحمد بن سعيد محرر عمان



قلعة صحر ... نقطة إنطلاق الإمام أحمد بن سعيد لتحرير عمان وتأسيس الدولة البوسعيدية.



شجرة الدولة البوسعيدية.





ويجمع المؤرخون على أن أحمد بن سعيد قد نُمِيز بقدر كبير من الحنكة والدهاء، لذا فقد هادن الفرس حتى يعطي لنفسه فسحة من الوقت لحل المشكلات الداخلية، واجمع العمانيون على مبايعته أماما في الرستاق عام (١٧٤٤م)، وبعد أن استوثق من إمكانات عدوه تمعد إهمال دفع الجزية للفرس ثم ابقى على الحماية الفارسية في الجلالى والميراني دون رواتب أو امدادات، وامعانا في اطلاق الحصار قرر إعفاء التجارة القادمة إلى بركا من الضرائب الجمركية مما أغرى السفن التجارية على التوقف في ميناء بركا بدلا من مسقط مما ضاعف من تدهور أوضاع الحماية الفارسية سواءً لنفاذ ذخيرتها أو انقطاع المؤن عنها.

لقد أدرك قائد الحماية الفارسية خطورة موقفه، واستجد بالشاه الذي خوله اتخاذ ما يراه مناسبا. وتذكر بعض الروايات أن نادر شاه قد اتفق مع رجل يدعى ماجد بن سلطان أحد اقرباء سيف بن سلطان وأنفقا على أن يجمع الأخير أنصاره وأن تسانده الحماية الفارسية في حكم عمان تحت السيادة الفارسية، وتضيف نفس الروايات أن الرياح قد قدفت بسفينة ماجد أثناء عودته من تبريز، حيث قبض عليه وانتزع منه قرمان الشاه القاضي بتسليمه مسقط ومطرح وأرسله الإمام أحمد بن سعيد مع أحد أعوانه إلى قائد الحماية الفارسية في مسقط الذي سلم إليه قلعتي الجلالى والميراني، ويُحدد المصادر العمانية تلك الحادثة على اعتبار أنها بداية عملية لعهد البوسعيد ونهاية عصر البعارة.

لقد أدرك الإمام أحمد بن سعيد منذ الوهلة الأولى أهمية إعادة الوحدة الوطنية، ومن أجل ذلك فقد بذل جهدا فائقا مكنه من أن يعيد لعمان وحدتها وهيا لها أن تلعب دورا كبيرا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

وإذا كان الإمام أحمد بن سعيد قد برز في تاريخ عمان الحديث كمؤسس لدولة البوسعيد، إلا أن المعلومات الخاصة بحياته قبل سطوع نجمه تؤكد أنه كان تاجرا أميناً صادقا مهابا ذا مروءة ينحدر من أسرة عربية أصيلة، وقد نُمِيز بجرأة نادرة وشجاعة فائقة لفتت إليه الأنظار. والحقيقة أن الإمام أحمد بن سعيد قد صادف في بداية توليه الامامة العديد من المشاكل، التي تشبه إلى حد كبير نفس المشاكل التي واجهها ناصر بن مرشد في بداية حكمه، فالبلاد نجت قبضة احتلال اجنبي والقبائل منقسمة تتنازعها الأهواء والأخطار نحيط بعمان من كل جانب.

لقد نجم عن المواجهة العمانية الفارسية أن توفي سلطان ابن مرشد قائد المقاومة العمانية داخل الحصن الرئيسي في صغار، وبعدها بأيام قلائل توفي سيف بن سلطان في قلعة الحزم بالرستاق وبوفاة الامامين اعد المسرح لظهور رجل قوي شديد الانضباط استطاع ان يلعب دورا فاعلا في تحرير وطنه من الاحتلال الفارسي وهو الامام احمد بن سعيد البوسعدي الازدي، الذي يعد المؤسس الاول لدولة البوسعيد، وقد كان يشغل منصب والي صغار تلك المدينة التاريخية التي شاء قدرها أن تلعب دورا هاما في بعث المقاومة الوطنية.

لقد لقي أحمد بن سعيد تأييدا كبيرا من المقاومة العمانية لدرجة أثارت الشك لدى الامام سيف، الذي ساورته الظنون في أن مؤامرة تدبر لخلعه عن الامامة، لذلك اصدر أوامره وكان لا يزال مسيطرا على مسقط بالقبض على أحمد ابن سعيد الذي ادرك ما يدبره له الامام سيف فأثر العودة وهو في طريقه إلى مسقط.

لم يلبث سيف ان افصح عن عداوته لأحمد بن سعيد، لذا فقد بعث بأسطول إلى صغار التي استعصت على المهاجمين، إلا أن احمد بن سعيد أثر السلامة وأعلن ولاءه للإمام سيف، وقبل ان يبعث بواحد من ابنائه إلى مسقط ليكون رهينة لدى الامام كضمان لحسن نية احمد بن سعيد، تسارعت الاحداث وتطورت بشكل سريع، حيث أعلن الامام سيف انسحابه من مسرح الاحداث نادما على ما سببه لبلاده من ويلات وظل في الرستاق إلى أن وافاه الاجل في الوقت الذي استمر فيه حصار الفرس لصغار واصيب سلطان بن مرشد بجروح كثيرة عجلت بوفاته هو الآخر.

لقد أدرك احمد بن سعيد ان اختيار المهادنة هو أفضل السبل لإعادة ترتيب البيت العماني، وتضيف المصادر العمانية ان الفرس طلبوا الصلح مع أحمد بن سعيد بهدف تأمين خروجهم من صغار بعد ان استحال عليهم احتلالها، بينما تؤكد المصادر الفارسية ان احمد بن سعيد قد أبدى مرونة مع الفرس مما اكسبه ثقتهم، لذا فقد قبلوا الانسحاب من صغار لمواجهة المشاكل الداخلية التي بدأ يتعرض لها نادر شاه، الذي كان يخوض حربا ضارية ضد العثمانيين. وسواءً أكان الفرس هم الذين طلبوا رفع الحصار أو أن احمد بن سعيد قد هادنهم فالحصلة واحدة، حيث انحسر الوجود الفارسي عن صغار ومسقط ومطرح ولم يبق لهم إلا قوات قليلة اعتصمت بقلعتي الميراني والجلالي مما اتاح لأحمد بن سعيد فرصة التقاط الانفاس.



قلعة المراني بمسقط.

القراصنة الذين كانوا يعوقون التجارة بين ما زجالور في ساحل الهند الغربية وبين مسقط، وتوجت هذه العلاقات بينهما بإبرام معاهدة (١٧٦٦م)، التي وضعت الأسس لعلاقات اقتصادية وسياسية كانت على درجة كبيرة من الأهمية، حيث اقتضت انشاء دار في مسقط لمبعوث الحاكم المغولي، الذي أصبح يعرف ببيت نواب.

وتبدو عبقرية الامام أحمد بن سعيد في ان البلاد شهدت ولأول مرة بعد أكثر من عشرين عاما من التفكك نوعا من السلطة المركزية بعد أن توحدت القبائل المتناحرة واتخذت الاجراءات الكفيلة بترسيخ أسس الدولة الحديثة، حيث أعيد بناء القوات المسلحة بما يتناسب وحجم التحديات التي كانت تواجه عمان وقتئذ، ثم وضعت قواعد جديدة لتحديث الأنشطة الاقتصادية والتعليمية، وقام بإعادة بناء الأسطول الحربي والتجاري، وفي عهده أصبحت مسقط من أهم المهدن التجارية في الخليج وعدا ميناؤها من أهم الموانئ التجارية في بحر الشرق وفقا لشهادات المؤرخين الأوروبيين.

والملاحظ أن عمان وفي أقل من عشر سنوات قد استعادت كل مقوماتها ووصلت البلاد إلى درجة من الاستقرار والرفق

ولا شك ان الدور الذي قام به الامام أحمد بن سعيد في تثبيت دعائم الحكم قد استغرق جهدا مضنيا، ولعل أبرز ما واجهه من مشكلات داخلية في مستهل عهده ثورات اليعاربة بسبب فقدانهم الحكم إلا ان الامام أحمد بن سعيد قد استخدم اسلوب الحسم والقوة حينما واللين في كثير من الاحيان، كما عمد إلى اسلوب المصاهرة بهدف تهدئة القبائل المناوئة له ومن ذلك زواجه من ارملة سيف بن سلطان ومصاهرته لشيخ بني الهلالي، الذين توثقت علاقاتهم به منذ أن كان واليا على صحر، كما عني بتوثيق علاقات الجوار مع القبائل العربية القاطنة في جنوب فارس ومنطقة عربستان ونحالفه مع قبائل بني كعب عند شط العرب ونهر الفاروق، كما توطدت علاقاته مع قبائل بني معن القاطنة غرب بندر عباس، وكل هذه العلاقات كانت بهدف الحيولة دون تمكن فارس من ان تنال اهدافها التوسعية في عمان، ومن أجل ذلك فقد فشلت جهود كريم خان في السيطرة على القبائل العربية في بلاد فارس.

وامتدت علاقات الامام أحمد بن سعيد إلى الهند، حيث ساعد شاه علم إمبراطور المغول وعاونه في حروبه ضد



بهدف احتلال البصرة بجدة سوء المعاملة التي يلقاها الفرس والضرائب التي تفرض عليهم وهم في طريقهم إلى الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء، لذا فقد بعث كريم خان للباب العالي طالبا رأس عمر باشا (والي بغداد) وهدد بغزو العراق إذا ما رفض طلبه، وكان من الصعب على الباب العالي أن يستجيب لشروط كريم خان، التي كانت بمثابة مقدمات طبيعية لتبرير الغزو.

ومع مطلع عام (١٧٧٥م) وصلت القوات الفارسية إلى البصرة، التي حمل لواء الدفاع عنها سليمان آغا، بمساندة أهلها وضرب حصارا حول البصرة لأكثر من عام، وظل الأسطول الفارسي يقذف المدينة بنيران مدافعه وأدرك قائد حاميتها أنه لن يستطيع الاستمرار خصوصا وأن والي بغداد الجديد (مصطفى باشا) قد اعترف بعجزه عن إمداد المدينة المحاصرة باحتياجاتها من المؤن والأسلحة.

ولم نجد القبائل العربية في البصرة حرجا من الاستنجاد بالإمام أحمد بن سعيد، الذي وضع إمكانيات بلاده لتلبية لنداء أخوانه في البصرة وأعد أسطولا من ثمانين قطعة بحرية تتقدمهم سفينة الإمام المسماه (الرحماني) وقاد

درجة أن التقارير الإنجليزية والهولندية وقتئذ قد اعترفت بالسيادة العمانية على كثير من شواطئ الخليج العربي والمحيط الهندي وأشادت بغطنة وذكاء الإمام أحمد بن سعيد، الذي استمال إليه أبناء وطنه واتسم بالتسامح في تعامله مع الأجانب وامتد نفوذه إلى شواطئ الهند وشرق أفريقيا.

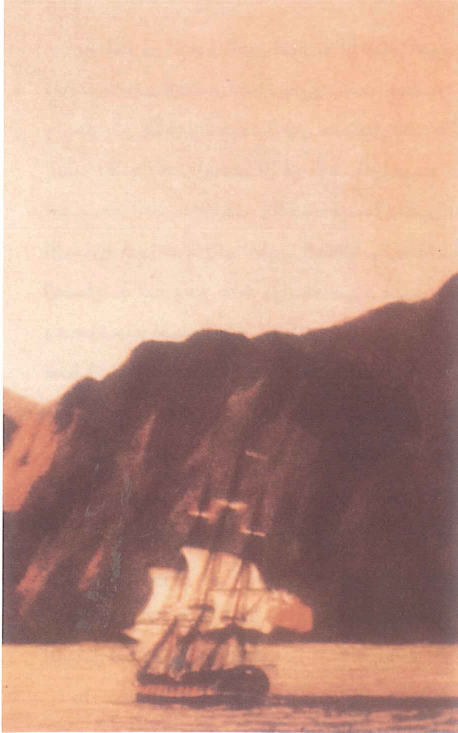
ويعترف ريسو RISSO بأن عمان في عهد الإمام أحمد بن سعيد قد استعادت قدرتها بشكل مذهل، وإنها قد استفادت من تدهور الأوضاع في فارس وكذا تدهور القوى الأوروبية في الخليج خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ويشير تقرير هولندي صدر عام (١٧٤٩م) إلى أن الإمام أحمد بن سعيد قد استطاع بمهارة شديدة من أن يستميل إليه كل العرب القاطنين على السواحل الفارسية، وقد استخدم إمكانياتهم العسكرية في صراعه مع فارس، لذا فقد استطاع أن ينقل الحرب العمانية الفارسية إلى الأراضي الفارسية مما أجهز على الأهمية التجارية لبندر عباس.

ويمكن القول بأنه إذا كانت دولة اليعاربة قد وصفت بأنها (دولة بحرية حربية) فمن المناسب وصف دولة البوسعيد بأنها (دولة بحرية حربية تجارية).

ونجمل المصادر العربية والأوروبية على أن الإمام أحمد بن سعيد قد نقل البلاد نقلة هائلة من خلال سلطة مركزية عنيت بكل مجالات التنمية اعتمادا على رصيد ضخم من التجربة البحرية والتجارية، وفي الوقت الذي عمت منطقة الخليج حالة من الفوضى السياسية والاقتصادية كان العمانيون يبخون قدما نحو ترسيخ قواعد الدولة الحديثة، التي حظيت وفي أقل من عشر سنوات بتقدير واحترام كل القوى الأوروبية المتنافسة، لذا فقد حرصت كل الدول الأوروبية على إقامة وكالات تجارية في المهدن العمانية وخصوصا مسقط التي أصبحت منذ (١٧٩٠م) واحدة من أهم المهدن الآسيوية وفقا لتقرير أعدته شركة الهند الإنجليزية، ويؤكد التقرير على أن مسقط نهضت بنشاط تجاري يفوق حجم التجارة في كل المهدن الخليجية الأخرى.

الإمام أحمد بن سعيد ينقذ البصرة من الحصار الفارسي

مع مطلع عام (١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م) أعد كريم خان جيشا فارسيا قدر بثلاثين ألف مقاتل نحت قيادة أخيه صادق خان



رسم لميناء مسقط عام (١٨٠٩م) للفنان آر. تامبل.

لم يكن في استطاعة قوات صادق خان ان نجول دون إنزال المؤمن والرجال استعدادا لشن هجوم كبير على القوات الفارسية في اليوم التالي. وفي المعركة الضارية التي دارت بين الطرفين شعر القائد الفارسي بتصميم العرب على الانتصار، لذا فقد أعلن عن منح جنوده مكافأة مقدارها ثلاثة تومانات لكل شخص يقتل وخمسة لكل أسير، لكن كل هذه المحاولات لم تحقق نتائج إيجابية حيث التحمت القوات العربية والفارسية ودار بعضها بالسلاح الأبيض، وإذا كان الحصار الفارسي قد فشل إلا أن مخاطره كانت ما تزال متوقعة بسبب المساعدات الكبيرة التي راح يبعث بها كريم خان بينما أخذت تتدفق المساعدات العمانية واستمرت الاشتباكات لعدة شهور أخرى.

لقد حقق الأسطول العماني الحماية الكاملة لمنطقة شط العرب وأمن المساعدات القادمة من عمان، وفي أوائل عام (١٩٠هـ/١٧٧٦م) انسحب الأسطول العماني عائدا إلى بلاده خوفا من ان تكون فارس تعد العدة للهجوم على عمان. لقد كان إنقاذ البصرة وأهلها من الهجوم الفارسي سببا كافيا لتقدير العثمانيين الدور العماني، لذا فقد تقرر ان نمنح عمان

الأسطول هلال بن الإمام أحمد بن سعيد. وعندما وصل الأسطول العماني إلى مصب شط العرب وجد سلسلة حديدية منصوبة على النهر كان الفرس قد وضعوها على جانبي النهر ليجولوا دون وصول العون إلى المدينة المحاصرة ووضعوا حامية كبيرة مزودة بالمدافع، لذا فقد اضطر الأسطول العماني إلى الانتظار في ملاذ أمين لعدة أيام، وبعد دراسة الموقف استطاع الأسطول العماني ان يشق طريقه تتقدمه سفينة القيادة (الرحماني)، التي زهكت من قطع السلسلة الحديدية والدخول إلى شط العرب.

وعلى الرغم من نيران المدفعية الفارسية، التي صوبت نحو العمانيين إلا أنهم قد زهكنوا من دخول شط العرب في منتصف رجب (١٨٩هـ/١٤ أكتوبر ١٧٧٥م).

لعل أدق ما قيل في هذه المناسبة ما قاله شيخ قبيلة المنتفق حينما التقى بهلال بن الإمام أحمد، حيث قال: (يا خوي نحن سقماء وأنتم حكماء، داوونا والمعافى هو الله). لعل هذه العبارة تلخص بوضوح دلالة هذه النجدة العمانية وأهميتها وهي تجربة عربية رائدة نحن في أشد الحاجة إلى استنطاق معانيها وإعادة تذكورها.





نتج عنها قبول ممثل سياسي بريطاني في عاصمة عمان للمرة الأولى عام (١٨٠٠م) ورغم هذه الاتفاقية فإن السيد سلطان لم يقطع علاقته التجارية بالفرنسيين في جزيرة موريشيوس ولم يمنع اصحاب السفن العمانية من ذلك.

وهكذا وازن السيد سلطان بن أحمد في سياسته الخارجية بين التطلعات البريطانية والفرنسية في منطقة الخليج ودعم نفوذه في هذه المنطقة حرصاً منه على أمن وسلامة الخليج. وفي الداخل قام السيد سلطان بن أحمد بتحصين مدينة مسقط وذلك ببناء قلعة ضخمة على أرض الواجهة لتكون حصناً للمدينة كما بنى البرج المقابل لها والبرج الشرقي الجنوبي ثم شيد بداخل مسقط قصراً ضخماً وهو بيت العلم - الذي بني على أرضه قصر العلم الحالي - وجعله مقره الخاص.

المؤثرات الحضارية العمانية في شرق أفريقيا في عهد البوسعيديين

لقد شاركت عدة عوامل في جعل الوجود العماني في شرق أفريقيا وجوداً حضارياً فاعلاً وخصوصاً في عصر البوسعيديين، لعل من أهم هذه العوامل:

مكافأة سنوية من خزانة البصرة وقد استمرت هذه المكافأة منذ عهد الإمام أحمد بن سعيد وحتى عهد السيد سعيد بن سلطان.

السيد سلطان بن أحمد بن سعيد

انجبت انظار السيد سلطان بن أحمد إلى خارج عمان بعد أن وطد حكمه في الداخل وراح يسترد الأملاك التي ضاعت في غفلة من الزمن فاستعاد جزر قشم وهرمز والبحرين وبهذا تمكن من اتقاء الخطر الفارسي والأوروبي وكذلك قضى على خطر الوهابيين الذين غزو عمان ونحالفوا مع أهل البحرين واسترد نفوذه على البحرين. كما بسط نفوذه على الهواري، الهامة في ساحل مكران واستولى على مينائي شهبار وجوادير كما استولى على ميناء بندر عباس بفضل البحرية العمانية القوية حيث وصل عدد سفن الأسطول العماني في عهده إلى أكثر من ٥٠٠ سفينة.

وقد رأى السيد سلطان أن يستفيد من الصراع القائم بين الفرنسيين والإنجليز في مياه المحيط الهندي لمصلحة بلاده - خاصة وأن كلا الطرفين حاول أن يوطد علاقته بعمان ضد الطرف الآخر - فأبرم اتفاقية بينه وبين الإنجليز عام (١٧٩٨م)



مسقط قبل عهد النهضة.



وأبعدها : لقد ساهم موقع عمان وموانئها ورصيدها الحضاري في صقل الوظيفة الحضارية للعماني الذي ارتاد البحار والمحيطات متسلحا بخبرة كبيرة من التجربة الإنسانية اهلهته للتعامل مع الشعوب الآسيوية والأفريقية.

والحقيقة ان العصر الذهبي للتأثير الحضاري العماني في شرق أفريقيا هو عهد السيد سعيد بن سلطان، الذي تولى الحكم بعد وفاة والده السيد سلطان بن أحمد عام (١٨٠٤م) حيث كان لقوة شخصية الرجل ودبلوماسيته ورؤيته الشاملة وبعد نظره أكبر الأثر في ترسيخ ملا مع الحضارة العمانية في شرق أفريقيا، والتي شكلت في مجملها ركائز حضارية كانت بمثابة اشعاع ثقافي وحضاري.

لقد كان للسيد سعيد بن سلطان أكبر الأثر في نشر الحضارة العربية والإسلامية في شرق أفريقيا، وقد وصفته المصادر العربية والأجنبية بأنه من أكفأ الحكام وأكثرهم حنكة ومقدرة على الإدارة مما يؤهله لكي يكون من أبرز الرواد السياسيين في تاريخ آسيا وأفريقيا خلال القرن التاسع عشر.

وتبدو عقرية السيد سعيد حينما اختار زنجبار عام (١٨٣٢م) لكي تكون عاصمة لشرق أفريقيا بعد ان نجح في الانتقال بها من مجرد جزيرة صغيرة إلى مركز اشعاع سياسي واقتصادي وثقافي لشرق وأواسط أفريقيا قاطبة، وهنك العمانيون في عهده من التواجد بداية من مقديشو شمالا وحتى رأس دلجادو CAPE DELGADO في جنوب الساحل الشرقي، كما امتد النفوذ العماني في الإنهاء الشمالي الغربي حتى مملكة بوغندا وغربا حتى أعالي الكونغو (زائير حاليا).

لقد استعان البوسعيديون في شرق أفريقيا بعدد كبير من المستشارين والعلماء في كافة الميادين وأوكل إليهم مهمة تسيير العمل الحكومي، وتشير المصادر العربية والأجنبية إلى المكانة العالية التي تبوأها العلماء والفقهاء من كافة المذاهب، حيث ساد التسامح بين المذاهب والديانات المختلفة وقد خص السيد سعيد بن سلطان أهل البلاد بمعاملة كريهة وكانت المساواة بين كافة السكان بصرف النظر عن أصولهم العرقية من أهم ما يتميز به السيد سعيد بن سلطان.

كما استعان البوسعيديون بالشخصيات النابغة واختير من بينهم الوزراء والمستشارون والقضاة الذين كانوا عوناً للحكام في تصريف شؤون الدولة، وقد عمل بهذا التقليد منذ عهد الإمام أحمد بن سعيد، ومما يميز سياسة البوسعيديين توخيهم العدالة في إدارة البلاد واختيارهم

أولها : جهود الشعب العماني في مجالات الحضارة الإنسانية وخبرته المتواصلة في مجال ركوب البحر والتجارة على المستويين الدولي والمحلي.

ثانيها : القيم الحضارية والإنسانية التي نمتع بها العمانيون مما أعطاهم قدرا كبيرا من المرونة والتسامح والصدق وأكسبهم سمعة حضارية دفعت الأفرقة دون تردد إلى أن يقبلوا على هذه التجربة الحضارية وأن يكونوا جزءاً من نسيجها الثقافي والاجتماعي.

ثالثها : تشجيع الحكام البوسعيديين للتجارة العمانية، حيث جابت الأساطيل العمانية كل بحار الشرق وكان تخفيض الرسوم الجمركية بما لا يتجاوز ٥% في مقدمة العوامل التي حفزت التجار إضافة إلى الحماية التي أسداها البوسعيديون للتاجر العماني وامتدت هذه الحماية في عهد السيد سعيد بن سلطان إلى التجار الأجانب من امريكيين وانجليز وفرنسيين والمان وهنود وغيرهم.



السيد سعيد بن سلطان... وأكثر من خمسين عاما من الحكم والازدهار.



تقربوا إلى الناس بالعدل وكانت الشورى من أهم الوسائل التي اعتمدوا عليها في إرساء دعائم دولتهم، ونادرا ما كانوا ينفردون بأمر دون استشارة رؤساء القبائل والعلماء والفقهاء وكانوا جميعا يمثلون جماعة أهل الحل والعقد.

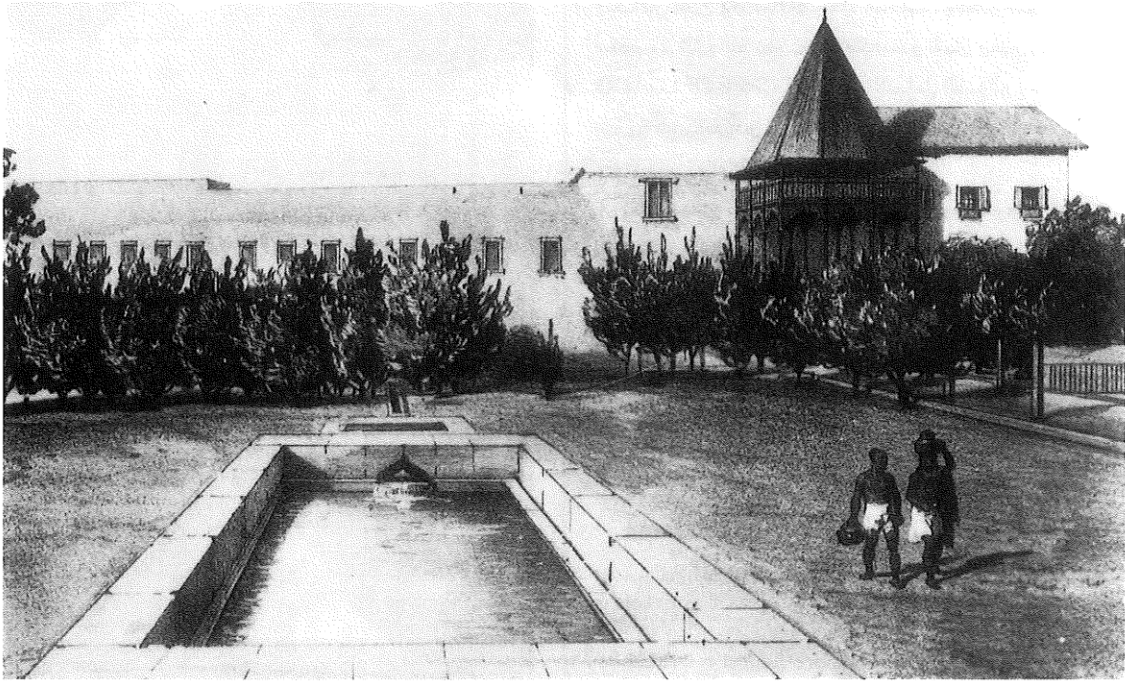
لقد عرف المجتمع الأفريقي المجالس السلطانية التي كان يعقدها الحكام البوسعيديون للتعرف على مشاكل الرعية عن قرب ولسماع الرأي فيما يتعلق بمصالح الجميع، وكان لكل فرد حق حضور هذه المجالس التي كانت تعقد في يومي الجمعة والأثنين من كل أسبوع، على فترتين الأولى في الساعة التاسعة صباحا والجلسة الثانية عقب صلاة العصر، ومن حق كل مواطن أن يطلب لقاء منفردا مع السلطان إذا كان لديه مطلباً خاصاً يجدر حرجاً في عرضه أمام الجميع.

النشاط الإقتصادي ونجارة القوافل العربية في عصر البوسعيديين

يعتبر النشاط الاقتصادي في شرق أفريقيا من أهم الموضوعات التي عنى بها البوسعيديون على الرغم مما تروج

أكفأ العناصر في الجهاز الإداري بصرف النظر عن هويتهم العرقية أو الدينية، ونتيجة لهذه السياسة فقد ساد جو من الالفة والتجانس وتوثقت العلاقات الاجتماعية بين كافة الأوساط وانعكس ذلك بشكل لافت على فقهاء المذاهب المختلفة لدرجة أن القضاة في عهد السيد سعيد كان بعضهم من الإباضية وبعضهم من السنة على الرغم من أن المذهب الإباضي هو المذهب الرسمي للدولة، وكان لقضاة السنة مطلق الحرية في عقد محاكمهم في منازلهم أو في المساجد العامة وفي أي وقت شاءوا، إلا أن القضايا الكبيرة ذات الطابع العام كان يتم الفصل فيها في بيت الساحل وهو المقر الرسمي للحكومة.

كذلك فقد نجح البوسعيديون في جمع كلمة القبائل العربية في شرق أفريقيا، وذلك بمشاركة زعماء القبائل واستشارتهم في مهام الدولة ومشاكلها سواء في عمان أو في زنجبار وملحقاتها. وكان من بين القوس العربية في زنجبار وشرق أفريقيا عرب حضر موت، الذين انخرطوا في خدمة الدولة البوسعيدية وكان منهم القضاة والمستشارون. لعل مما يسترعي النظر أن الحكام البوسعيديين قد



مقر إقامة السيد سعيد بن سلطان في زنجبار.

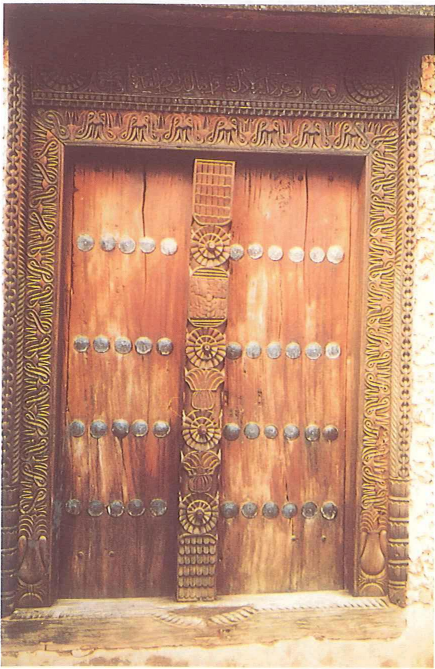
المهم

باقتصاديات شرق أفريقيا مما دفع السيد سعيد بن سلطان إلى أن يستقدم المئات من العمانيين الذين لديهم خبرة بأعمال التجارة، ونجح بعضهم لدرجة أن النشاط الاقتصادي والتجاري للعمانيين قد أمتد إلى أواسط أفريقيا حتى صدق عليهم المثل القائل : (إذا دقت الطبول في زنجبار تراقص الناس طربا في البحيرات الاستوائية)، وهو ما يشير إلى أن زنجبار قد امتدت ثقافيا وحضاريا إلى منطقة البحيرات

له بعض الكتابات الغربية التي عنت كثيرا بتجارة الرقيق، لدرجة أن القارئ يشعر وكأنها هي التجارة الوحيدة في شرق أفريقيا، مع أننا نلمح بوضوح الأهداف الاقتصادية لحكام البوسعيد وخصوصا منذ عهد السيد سعيد بن سلطان، الذي استقدم إلى زنجبار عددا من التجار الهنود، الذين ساهموا بنصيب وافر في تجارة مسقط. ويبدو أن الهنود قد مارسوا نشاطا اقتصاديا أضر



قصر العجائب بزنجبار.



باب مزخرف بنقوش عمانية في زنجبار.



بريطانيا وفرنسا، لذلك فقد اعتبرته الدوائر السياسية الأجنبية رجلا على درجة عالية من الاستنارة، حيث جعل من بلاده سوقا تجاريا ضخما جذب اهتمام الدوائر الاقتصادية في العالم، ونحلت زنجبار في عهده من مجرد ميناء صغير إلى أعظم ميناء في الأطراف الغربية للمحيط الهندي.

أما التجارة الداخلية فقد عمل السيد سعيد على توفير كافة الضمانات لنجاحها وخصوصا تجارة القوافل التي تسلك طريقها داخل القارة الأفريقية، حيث وصلت أول قافلة عربية إلى مملكة بوغندا Buganda على شاطئ بحيرة فكتوريا وفي أواخر عهد السيد سعيد (١٨٥٢م) تم فتح طريق تجاري جديد يربط الساحل الشرقي لأفريقيا بالساحل الغربي عبر بحيرة تنجانيقا ثم وصلت في نفس العام أول قافلة من زنجبار إلى بنقويلا BENGUELA على الساحل الغربي الأفريقي على المحيط الأطلسي.

لقد نجم عن هذا التوسع ظهور طرق رئيسية لتجارة القوافل العربية:

الطريق الأول: ويمتد من مباسا وماليندي إلى هضبة البحيرات أو شرق أوغندا الحالية.

الطريق الثاني: ويبدأ من الموانئ المواجهة لزنجبار مثل تانغة وبنفاني وبفاميو ويتجه إلى وسط تنجانيقا ثم يتفرع إلى فرعين شمالا إلى هضبة البحيرات الاستوائية وجنوبا إلى حوض نهر الكونغو، ودخل العرب والسواحليون في علاقات ودية مع قبائل الأنيامويبي التي تسكن هذه المنطقة.

الطريق الثالث : والذي يمتد من كلوه عبر جنوب تنجانيقا وشمال موزمبيق إلى بحيرة مياسا، حيث تحالف العرب مع قبائل الياو التي كانت تجلب العاج والمنتجات الأفريقية الأخرى وتبيعها لتجار القوافل العربية.

ومن أهم السلع التي قامت عليها تجارة القوافل العربية العاج والجلود والأحجار الكريمة والذهب. ومن العمانيين الذين طبقت شهرتهم الأفاق ووردت سيرتهم في المصادر الأجنبية هو حميد بن محمد المرعبي ومحمد بن خلفان البرواني، حيث لعبا دورا هاما في تجارة العاج وأساسا إمارة عربية إسلامية واسعة الأرجاء في أعالي الكونغو، بسطت

الاستوائية وأن ثمة تعاملات يومية تجارية وثقافية كانت تربط زنجبار بوسط القارة الأفريقية.

لقد وضع السيد سعيد نظاما للنقد وضربت أول عملة في شرق أفريقيا بإسمه بعد أن كان النقد المتبادل في زنجبار هو الريالات الألمانية والنمساوية والأسبانية، ورغبة منه في تسهيل التبادل التجاري فقد استحدث نظاما نقديا جديدا يحل محل تلك العملات وفي نهاية عهده اختفت إلى حد كبير تلك العملات الأجنبية وحلت بدلا منها عملة جديدة استحدثها.

وفي عهد السيد برغش ضربت عملة جديدة وعليها اسم (السلطان برغش بن سعيد بن سلطان) ثم أصدر في عام (١٨٨٧م) عملة جديدة تحمل كلمة (زنجبار) والتي كان يطلق عليها (بيسة السيد خليفة) واستمرت هي العملة السائدة في زنجبار وضواحيها إلى أن أدخلت العملة الفضية الإنجليزية عام (١٩٣٦م)، وإن كانت بيسة (زنجبار) بقيت متداولة بشكل غير رسمي جنبا إلى جنب بجانب العملة الفضية الإنجليزية.

لقد عرف عن السيد سعيد شغفه بالتجارة، لذا فقد حرص أن لا يجعل الميزان التجاري ينقلب إلى غير صالح بلاده أو أن ينفلت من بين يديه، لذا فقد استخدم أسطوله في نقل البضائع الأفريقية ليس إلى موانئ آسيا فقط وإنما إلى



السيد برغش بن سعيد بن سلطان.



الحدث بداية لدخول الإسلام في أوغندا، ويضيف أمين باشا في مذكراته أن الشيخ أحمد العامري قد أخبره بأن أول زيارة له لبوغندا كانت عام (١٢٦٠هـ/١٨٤٣م) وعلى الرغم من أن جهود البوسعيديين في نشر الإسلام في أفريقيا ما تزال في حاجة إلى المزيد من البحث والدراسة إلا أن كثيرا من المصادر تشير إلى جهود بعض العمانيين الذين وصلوا إلى مناطق متفرقة في إفريقيا، وأنهم أقاموا المؤسسات الدينية والاجتماعية. وعلى سبيل المثال وليس الحصر تذكر هذه المصادر اسم خميس بن جمعة الذي أسلم على يديه الملك موتيسا والشيخ عبدالرحمن بن عبيد بن حمود، الذي كان مستشارا للسيد برغش بن سعيد، وقد قام هذا الشيخ بجهود رائدة في نشر الإسلام زحذت عنه المصادر الأجنبية.

ونجم المصادر التاريخية على اسم الشيخ حميد بن محمد المرجبي والشيخ محمد بن خلفان البرواني وما قاما به من تأسيس إمارة عربية إسلامية في منطقة أعالي الكونغو كانت تدين بالولاء لسلطنة زنجبار الإسلامية، كما أدخل العمانيون الإسلام في منطقتي رواندا وبوروندي وقد أجرت باحثة فرنسية دراسة اجتماعية في هاتين المنطقتين توصلت من خلالهما إلى أن خصائص المجتمع الإسلامي فيهما هي نفس الخصائص التي يتميز بها العمانيون في زنجبار وبمبا، وأن الإسلام قد انتشر في هذه البلاد بالوسائل السلمية من خلال الأنشطة التجارية التي نجم عنها اختلاط بل واندماج أحيانا حيث تزوج الكثير من العمانيين من الإفريقيات.



نفوذها التجاري والسياسي حتى بداية السيطرة الأوروبية. لقد حققت نجارة القوافل العربية رواجاً اقتصادياً للأفارقة أنفسهم، وكان للعرب فضل لفت نظر الأفارقة لأهمية نجارة العاج لدرجة أن ملوك بوغندا قد احتكروا جميع العاج من المناطق المجاورة لمملكتهم ومع ذلك فقد توثقت علاقة ملوك بوغندا بسلاطين البوسعيديين مما هيا لتجار زنجبار مكانة مرموقة في ممالك بوغندا.

إنتشار الإسلام في شرق إفريقيا خلال عصر البوسعيديين

لقد شهدت فترة البوسعيديين في شرق إفريقيا عناية فائقة بانتشار الإسلام، حيث أشرق نور الإسلام لأول مرة في أوغندا وأعالي نهر الكونغو ورواندا وبوروندي فضلاً عن تنجانيقا، بعدما أصبحت زنجبار مركز إشعاع إسلامي، منذ أن اتخذها السيد سعيد حاضرة الحكم العماني في شرق إفريقيا عام (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م).

ويتحدث الرحالة والمؤرخون الذين زاروا زنجبار في منتصف القرن التاسع عشر عن الملامح العامة لجزيرة زنجبار التي أصبحت زخفة معمارية إسلامية، وأصبح الطابع العربي ظاهراً في المباني والطرق والمساجد لدرجة أن زنجبار وبمبا وحدها تضم ٣٧٥ مسجداً، ولم يقتصر دور هذه المساجد على الصلاة فقط وإنما كانت بمثابة مدارس تعليمية تلقى فيها الدروس على يد نخبة من الرجال الأفذاذ.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الإسلام قد أنتشر في عهد البوسعيديين بواسطة قوافل التجار العمانيين والتي أطلقت عليهم المصادر الأجنبية لقب (الزنجباريون)، وكانت وسيلتهم في نشر الإسلام هي القدوة الحسنة من خلال معاملاتهم التجارية. ولم تعرف هذه الفترة الدعاة بالمعنى المعاصر وإنما كانوا نجارا ورسلاً حضارة وبناء، لذا انتشرت دعوتهم ببسر وسلامة. وتضيف المصادر العربية والأجنبية نماذج من أمثال الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري الذي يعتبر وصوله إلى بلاط الملك (سنا) SUNNA في مملكة بوغندا نقطة تحول خطيرة في تاريخ هذه المنطقة، إذ يعتبر هذا



عناية البوسعيديين بالتعليم في شرق أفريقيا

لقد حظي العلماء بمكانة بارزة عند سلاطين زنجبار وأسهم هؤلاء العلماء في نشر الوعي والثقافة الإسلامية تدريجاً وتأليفاً، وتعلم على أيديهم أعداد غفيرة من سكان زنجبار والمناطق الداخلية في شرق أفريقيا.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن بدايات التعليم الأول في زنجبار تتمثل في المدرسة القرآنية (الكتاب) وحلقات المساجد ودور العلماء، وكانت هذه بمثابة المؤسسات التربوية والتعليمية التي ارتكز عليها التعليم على امتداد المجتمع السواحلي.

لقد ارتبط التعليم في مراحله الأولى بالإسلام من حيث منهجه وطريقته ومضمونه، حيث كان القرآن والتفسير والفقه ومبادئ اللغة العربية هي المواد التي تدرس في كل دور التعليم، ويبدو هذا الجهد من خلال برنامج دعمته دولة البوسعيد بكل إمكانياتها وشجعت العلماء وحفزتهم بهدف إحداث تغيير حضاري للأفارقة، ويأتي أسم الشيخ الأمين بن علي المزروعلي الذي يعد نموذجا حيا للعلماء العاملين في هذا المجال، فقد جاءت إحدى المخطوطات التي تناولت تاريخ شرق أفريقيا ما يكشف النقاب عن جهود هذا العالم العماني الذي كان يقوم بمهمته التعليمية في ممباسا وفي جميع المناطق التي زارها، وفتح مدرستين واحدة في ممباسا وأخرى في قرية (غوي) من أعمال ممباسا، أنفق عليهما من ماله الخاص وألف أكثر من ثلاثين كتاباً. وهكذا فقد أصبح شرق أفريقيا في عصر البوسعيديين ملتقى للعلم وطلابه ومركز إشعاع للبر الأفريقي كله جذب مئات الطلاب والعلماء، الذين قدوا من شتى أنحاء أفريقيا ومناطق نائية بعيدة مثل جاوه وجزر الهند الشرقية فضلاً عن عمان وحضرموت، وكانت طرق التدريس أشبه بما كان يعمل به في عمان وحضرموت والأزهر الذي كان نموذجا مثالياً يحتذى به في الأوساط العلمية في زنجبار، ومن أشهر المراكز العلمية التي اشتهرت في عصر البوسعيديين مدرسة مسجد جوفاً في زنجبار والتي أشاد بها المؤرخون والرحالة.

لقد نجم عن هذا الجهد التعليمي تعليم الكثير من الأفارقة، وعلى أيدي عرب عمان ازدهرت الحياة العلمية والثقافية وكانت اللغة العربية هي وسيلة التعليم الأساسية،

لذا فقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية وتعمقت الروابط العربية الأفريقية وانتشر الإسلام بسهولة ويسر مما أثار استغراب كثير من الرحالة وعلماء الاجتماع الأوروبيين.

ومن العوامل التي ساعدت على النهضة العلمية والثقافية في شرق أفريقيا تأسيس المطبعة السلطانية في عهد السلطان برغش بن سعيد (١٨٧٠م/ ١٢٨٨هـ)، وقد عملت هذه المطبعة على نشر العشرات من الكتب العمانية وخاصة الدينية منها، وقد مهد هذا الإنجاز الكبير في مجال الطباعة والنشر السبيل لظهور الصحافة لأول مرة في تاريخ شرق أفريقيا حيث انشئت صحيفة (الفلق) و (النهضة) و (الإصلاح)، وكان يكتب في هذه الصحف أعلام عمان سواء ممن استقر في شرق أفريقيا أو من بقى في عمان.

العناية بالثقافة العربية

لقد نجم عن الحركة العلمية والثقافية في شرق أفريقيا خلال عصر البوسعيديين أن أصبحت الثقافة العربية هي محور الارتكاز التي تطلع إليها الأفارقة برغبة شديدة في التعرف عليها، وساهمت عوامل عديدة في نشر الثقافة العربية في شتى مناطق الساحل الأفريقي لعل من أهمها:

١ - كثافة الهجرة العربية وخصوصاً العمانية في عصر البوسعيديين، حيث أصبح البر الأفريقي مكاناً جذاباً بحكم النمو الاقتصادي والازدهار الثقافي والحضاري، وكان عهد السيد سعيد بن سلطان نموذجا مثالياً قطع على العمانيين ترددهم في الهجرة التي اندفعوا إليها فرادى وجماعات.

٢ - ما بذله العمانيون من جهد في نشر اللغة العربية ثقافة وحضارة باعتبارها لغة القرآن الكريم.

٣ - مرونة اللغة العربية ووقاؤها بمتطلبات الحياة الأفريقية واتخاذها لغة للدواوين والمصالح الحكومية، لذا فقد أقبل عليها الأفارقة طمعاً في وضع اجتماعي ووظيفي أفضل.

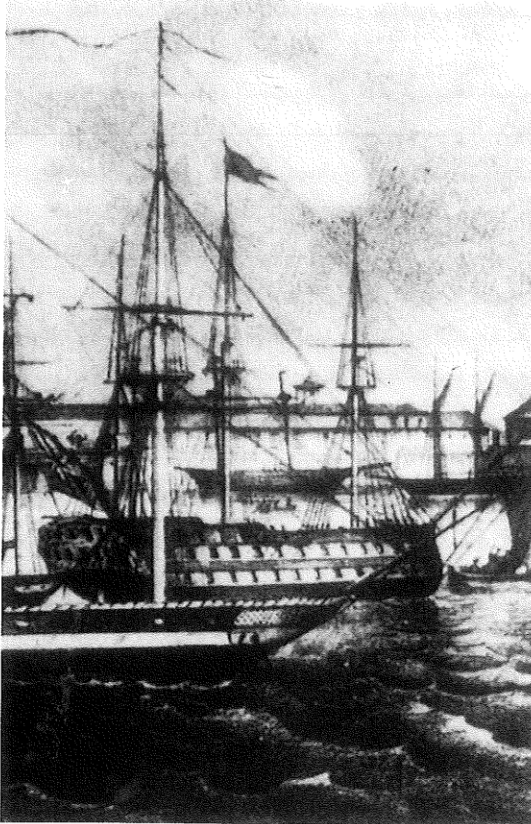
٤ - ما قام به التجار العمانيون من إنشاء العديد من المراكز الإسلامية في داخل القارة الأفريقية بينما دعم هذا الإنجاز الحكام البوسعيديون الذين أدركوا أهمية اللغة كوسيلة فاعلة لدعم نفوذهم السياسي في أنحاء أفريقيا.

٥ - انتشار الدين الإسلامي بين الأفارقة مما ساهم في عملية انتشار اللغة العربية باعتبارها ضرورة دينية لقراءة

العمانيين في خدمة التراث العربي الإسلامي لم تكتب بعد، وإن أفريقيا وحدها في حاجة إلى إعادة كتابة الكثير من معالها الحضارية لكي يتكشف الدور الرائد الذي لعبه عرب عمان في هذه القارة التي لم يكتب كل تاريخها بعد.

الأسطول العماني في عهد السيد سعيد بن سلطان

لقد شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر اهتماما كبيرا ببناء الأسطول التجاري والحربي في عهد السيد سعيد ابن سلطان، وكانت الموانئ العمانية مثل مطرح ومسقط وصور تعد من أهم أحواض بناء السفن إضافة إلى السفن التي تعاقد السيد سعيد على بنائها في الهند وخصوصا في بومباي.



السفينة الحربية ليفربول ذات المدافع الأربعة والسبعين والتي أهداها السيد سعيد بن سلطان إلى وليم الرابع ملك بريطانيا سنة (١٨٢٤م).

القرآن الكريم والوقوف على معرفة السنة والتراث الإسلامي. ٦ - لقد ساهم الزواج الذي انتشر بين العرب والإفارقة في نمو حركة انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المناطق الأفريقية، خصوصا وإن العرب الذين وفدوا على البر الأفريقي كانوا على مستوى طيب من الحضارة والتقدم، واستطاع العرب بحضارتهم الراقية نجحيم العمل التنصيري والحفاظ على الهوية العربية والإسلامية وعدم ذوبانها في خضم الحياة الأفريقية.

ومن أجل كل ذلك فقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية، وتزايدت أهميتها في شرق أفريقيا وغدت المساجد والكتاتيب والمدارس والمؤسسات الحكومية في عصر البوسعيديين بمثابة قواعد وحصون لنشر اللغة العربية بين الإفارقة، وظل التراث العربي العماني من كتابات وزخارف وأبنية بمثابة بصمات حضارية حتى الوقت الحاضر.

ومن أجل هذا كله فقد انتشرت اللغة العربية بين الإفارقة باعتبارها لغة الصفوة المتعلمة المستنيرة بل والحاكمة أيضا، كما كانت لغة التجارة والاقتصاد والإدارة والحكم والحياة الاجتماعية، لذا كان من البديهي أن تكون زنجبار بمبانيها وشوارعها وثقافتها نتاجا عربيا إسلاميا خالصا. وإذا كانت الثقافة السواحلية ما تزال قائمة في الجزر والمناطق الساحلية إلا أنها تحمل في مضمونها العقيدة الإسلامية من خلال أسماء الأشخاص والعادات والتقاليد والملبس والمباني والآداب العامة وحتى الأمثال الشعبية، ومن ثم فقد أصبحت كلمة سواحلي تطلق على كافة سكان الساحل الشرقي، الذين تربطهم بالعرب علاقات ثقافية وحضارية بحكم اعتناق هؤلاء السكان الإسلام وارتباطهم بالعيش والتقاليد العربية الإسلامية.

لذا فإننا نستطيع القول أن الثقافة السواحلية ما هي إلا نتاج طبيعي للثقافة الإسلامية العربية، واللغة السواحلية هي اللغة القومية في تنزانيا وكينيا كما أنها تستعمل على نطاق واسع في جنوب الصومال وأوغندا ومناطق كثيرة من رواندا وبوروندي وزائير وموزمبيق وجزر القمر، ويقدر عدد الناطقين بها أكثر من أربعين مليون نسمة وتدرس اللغة السواحلية في الجامعات ومعاهد اللغات في أفريقيا وأوروبا وآسيا كما اتخذتها منظمة اليونسكو لغة عمل في نشراتها.

لذا فإننا لا نكون مبالغين إذا اعتبرنا أن إسهامات



والأفريقية وعشرات الجزر المتناثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي.

لقد أرسل السيد سعيد بن سلطان سفينته (سلطنة) إلى نيويورك تقل سفيره أحمد بن نعمان الكعبي أول مبعوث عربي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد زارت السفينة ذاتها لندن عام (١٨٤٢م) نَحْمِلُ السفير علي بن ناصر إلى الملكة فكتوريا.

وتشير الوثائق التاريخية إلى أن السفينة العمانية (كارولين) قد زارت مرسيليا عام (١٨٤٩م) زيارة مجاملة حاملة الكثير من بضائع الشرق، وفي منتصف القرن التاسع عشر كان الأسطول العماني التجاري المسلح يتكون من مائة سفينة متعددة الحمولة، مزود كل منها ما بين عشرة مدافع إلى أربعة وسبعين مدفعا، إضافة إلى مئات المراكب التجارية الصغيرة.

ومن عجائب القدر أن السيد سعيد بن سلطان قضى أيامه الأخيرة يجوب المحيط الهندي على ظهر السفينة (فكتوريا) عائدا من مسقط وقد توفي على ظهرها عام (١٨٥٦م) وهي بالقرب من جزيرة سيشل.

وتشير المصادر الأجنبية إلى أن السيد سعيد بن سلطان قد بلغت عنايته بالأسطول لدرجة استقدام خبراء من بريطانيا وهولندا والبرتغال وفرنسا لتفقد السفن المصنعة له في ترسانات السفن في بومباي.

لقد كانت الموانئ العمانية مهياة لاستقبال أكبر السفن من الدول الصديقة التي ترتبط معها عمان بعلاقات تجارية، وتشير تقارير قناصل وقادة الأساطيل الأوروبية إلى التسهيلات التي كانت تقدمها سلطات الموانئ العمانية إلى تلك الأساطيل، وقد اثنوا جميعا على ما لاقوه من مساعدات وضيافة من قبل السيد سعيد وأولاده وممثليه.

ومن أجل إعطاء مثال عن حجم الأساطيل الأجنبية التي كانت تزور الموانئ العمانية خلال فترة السيد سعيد بن سلطان، نذكر أن عدد السفن الأمريكية التي زارت ميناء زنجبار عام (١٨٣٤م) فقط كان ثلاثين سفينة تجارية، وقد أسست الولايات المتحدة قنصلية في زنجبار قبل أربع سنوات من تأسيس أول قنصلية بريطانية فيها.

وعند وفاة السيد سعيد بن سلطان عام (١٨٥٦م) على ظهر السفينة (فكتوريا) قبالة شاطئ سيشل كانت الإمبراطورية العمانية تملك أكبر أسطول تجاري وحربي في

ومن أشهر السفن في تاريخ الأسطول العماني (تاج بكس) و (كارولين) و (شاه علم) و (ليفربول) و (سلطنة) و (تاجه)، وقد أهدى السيد سعيد البارجة ليفربول إلى وليم الرابع ملك بريطانيا عام (١٨٢٤م) وقد أطلق عليها الأخير اسم (الامام) تكريما لمهديها السيد سعيد بن سلطان.

أما السفينة الحربية سلطنة فقد كانت من أهم قطع الأسطول العماني، وقد أرسلت إلى ميناء نيويورك عام (١٨٤٠م) نَحْمِلُ هدايا للرئيس الأمريكي فان بورين VAN BUREN.

لقد كان أسطول عمان الحربي والتجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر يعد ثاني أكبر أسطول بعد الأسطول البريطاني، وكان لذلك الأسطول الضخم قواعد رئيسية على الساحل الشرقي للخليج العربي في موانئ بندر عباس وحاسك وشامل وسياب ولنجة وجزر قشم وهرمز ولارك... أما على الساحل الأفريقي فكان لعمان قواعد بحرية في مباسا ولا مو وكلوه ومقديشو وزنجبار.

وعلى الرغم من القوة البحرية التي كان يمتلكها السيد سعيد بن سلطان إلا أنه اتصف بالحذر الشديد وعدم الدخول في مغامرات عسكرية غير محسوبة، لذا فقد اقتصر نفوذه على السواحل ولم يغامر بالتوسع في الداخل، سواءً أكان ذلك على الساحل الشرقي للخليج العربي أو على الساحل الأفريقي. ولكن التجار العمانيين توغلوا في داخل أفريقيا ووصلوا إلى ما يعرف حاليا بأواسط كينيا والبحيرات الأفريقية، وتاجروا مع الأهالي ونشروا الإسلام والثقافة العربية وكانوا بمثابة أول جسر ثقافي بين العرب وأفريقيا.

لقد سجل أحد التجار الأمريكيين الذين زاروا زنجبار في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر مشاهداته وانطباعاته عن نجوبة السيد سعيد الذي وصل شرق أفريقيا على رأس قوة تتألف من سفينة مزودة بأربعة وستين مدفعا وثلاث فرقاطات مزود كل منها بستة وثلاثين مدفعا، وسفينتين مزود كل منهما بأربعة عشر مدفعا وحوالي مائة مركب نقل عليها ستة آلاف مقاتل. وعلى الرغم من بعد الممتلكات العمانية في أفريقيا عن عمان بأكثر من خمسة آلاف ميل إلا أن الأسطول العماني كان من القوة بحيث يحرس هذه الممتلكات الشاسعة الممتدة بين بندر عباس إلى زنجبار، كما كان يحرس عشرات الموانئ الواقعة على السواحل العربية



المنطقة الممتدة ما بين الخليج العربي وجزيرة مدغشقر.

عمان والولايات المتحدة في عهد السيد سعيد بن سلطان

لقد اجتذبت عمان اهتمام الأمريكيين منذ بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، ليس لأهمية موقعها فقط وانها لشهرة صادراتها الأفريقية من العاج والذهب والجلود والقرنفل. وكان تطوير الشرق الأفريقي في عهد السيد سعيد ابن سلطان عاملاً جاذباً لكثير من القوي الأجنبية، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية في مقدمة القوي الأجنبية التي تطلعت إلى فتح أسواق لها في زنجبار وخصوصاً حينما زارها التاجر الأمريكي (أدموند روبرتس) EDMUND ROBERT'S الذي وجد نشاطاً تجارياً رائجاً وتسهيلات كبيرة تمنح للأجانب، لذا فقد عاد إلى بلاده حاملاً فكرة عقد معاهدات تجارية بين عمان والولايات المتحدة بهدف تحقيق تبادل تجاري بين البلدين، وكتب إلى الرئيس الأمريكي (اندرو جاكسون) AN-DREW JACKSON موضحاً له النتائج المرجوة من التعامل مع أسواق جديدة تزخر بنفائس البضائع الأفريقية، ووافق الرئيس الأمريكي على الفور وعهد إلى أدموند روبرتس بإجراء المفاوضات اللازمة وكان وصول السفينة الأمريكية (بيكويك) حاملة بعثة روبرتس إلى مسقط دليلاً على أن الامبراطورية العمانية دولة ذات أهمية خاصة.

وفي (٢١ سبتمبر ١٨٣٣م) أبرمت أول اتفاقية بين السيد سعيد والولايات المتحدة الأمريكية، وظلت هذه الاتفاقية سارية المفعول حتى عام (١٩٥٨م) حين استبدلت بمعاهدة جديدة نظمت العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية بين البلدين.

لقد زمتع الأمريكيون بموجب هذه المعاهدة بامتيازات اقتصادية وقضائية، حيث أصبح التجار الأمريكيون يتاجرون في أراضي الامبراطورية مقابل ٥٪ فقط كرسوم على البضائع التي يصدرونها، كما صار من حق القنصل الأمريكي فض كافة المنازعات التي تنشأ بين رعايا دولته مقابل حق قنصل عمان في الفصل في القضايا بين الرعايا العمانيين في الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد حمل المبعوث الأمريكي رسالة من السيد سعيد بن سلطان

إلى الرئيس الأمريكي اندرو جاكسون مع نص الاتفاقية. ومما جاء في رسالة السيد سعيد للرئيس جاكسون: (لقد استجبت لرغبات معالي سفيركم روبرتس وذلك بإبرام معاهدة صداقة وتجارة بين بلدينا العزيزين. هذه المعاهدة التي سنتقيد بها بكل إخلاص أنا ومن يخلفني في الحكم وتستطيع سيادتكم أن تطمئن بأن كل السفن الأمريكية التي ترسو في الموانئ التابعة لي ستلقى نفس المعاملة الكريمة التي نلقاها في موانئ بلادكم السعيدة).

لقد احتجت بريطانيا وحذرت السيد سعيد من أن الولايات المتحدة لها اطماع في شرق أفريقيا وبالساسة المادنة التي نميز بها السيد سعيد طلب من الإنجليز عقد معاهدة معهم مشابهة للمعاهدة الأمريكية وتم إبرام هذه المعاهدة عام (١٨٣٩م).

لقد أدت الاتفاقية العمانية الأمريكية إلى ازدهار التجارة بين البلدين، إذ استقبل ميناء زنجبار سفناً أمريكية تحمل قماشاً قطنياً سرعان ما وجد قبولاً رائجاً في شرق أفريقيا إلى جانب الأدوات المنزلية والبنادق والبارود والساعات والأحذية، وفي المقابل حملت السفن الأمريكية من زنجبار القرنفل والعاج وجوز الهند والتوابل لدرجة أن عدد السفن الأمريكية التي رست في زنجبار عام (١٨٣٥م) قد وصلت إلى ثلاثين سفينة، لذا فقد اختارت الحكومة الأمريكية المستر (رينشارد ووترز) RICHARD WATERS في عام (١٨٣٦م) ليكون أول قنصل أمريكي مقيم في مسقط، إلا أن العلاقات العمانية الأمريكية قد تعرضت لعدة مشاكل من أهمها:

١- رغبة السيد سعيد في تعديل المادة الثانية من المعاهدة المعقودة بين الطرفين عام (١٨٣٣م)، والتي تنص على حق التجار الأمريكيين دخول كل الموانئ الخاضعة للسيد سعيد، على اعتبار أنه كان يقصد زنجبار فقط ولم ترغب الحكومة الأمريكية في الاستجابة لطلب السيد سعيد فتحرم زنجباراً من التجارة في بقية موانئ الامبراطورية.

٢- لقد ارتكب بحار أمريكي جريمة قتل في حق مواطن عربي مما فتح المجال لإعادة النظر في اختصاصات القضاء القنصلي، خصوصاً وقد تكرر اعتداء الأمريكيين على التجار الهنود المشمولين بالرعاية البريطانية.

٣- لقد لعب القنصل الأمريكي في زنجبار شارل وارد دوراً في سوء العلاقة بين البلدين، لذا تدهورت العلاقات بشكل ملحوظ إلى أن انقطعت نهائياً عام (١٨٥٠م).

لقد حرصت الإدارة الأمريكية على معالجة المشكلات المعلقة



الذي تعترف فيه الولايات المتحدة بالوضع الخاص لبريطانيا في منطقة الخليج، إلا أن العلاقات الأمريكية العمانية تستند إلى واحدة من أقدم المعاهدات التي ما تزال نافذة المفعول (معاهدة سبتمبر ١٨٣٣م) وينوه التقرير بالذكرى المئوية لهذه المعاهدة والتي تميزت بزيارة قامت بها بعثة دبلوماسية رفيعة المستوى إلى مسقط عام (١٩٣٤م) وبعثة عمانية زارت الولايات المتحدة عام (١٩٣٧م) برئاسة السلطان السيد سعيد بن تيمور، الذي استقبله الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت FRANKLIN ROOSEVELT في واشنطن.

العلاقات السياسية والاقتصادية بين عمان وشرق أفريقيا

بمجرد أن انتهى الامام احمد بن سعيد من طرد الفرس من عمان ووضع أسس الدولة البوسعيدية، التفت إلى ساحل أفريقيا الشرقي، الذي كانت تربطه بعمان صلات تاريخية وحضارية قديمة وخصوصا في عصر اليعاربة، إلا أن ما تعرضت له عمان مع نهاية عصر اليعاربة قد انعكس بشكل ملحوظ على شرق أفريقيا، لذا فلم يستطع الامام أحمد بن سعيد أن يستعيد إلا ثلاث فقط من المدن الهامة وهي كلوه وزنجبار ومباسا ولم تستكمل عمان سيادتها على معظم السواحل الأفريقية إلا في عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦م) حيث امتدت الممتلكات العمانية من سواحل عمان إلى جزيرة ممبا (الجزيرة الخضراء) وزنجبار ومباسا ودار السلام وإمتدت من شمال موزمبيق حتى الصومال.

لقد أعجب السيد سعيد بجزيرة زنجبار بحكم توسط موقعها بين موانئ شرق أفريقيا، وقد اتاح لها ذلك أهمية اقتصادية كبيرة اضافة إلى أن موقعها الجغرافي قد اكسبها بعدا آمنا هاما، كما أنها ذات طقس معتدل وتتميز بخضوبة تربتها وبها أعذب مياه في الشرق الأفريقي كله على حد قول السيد سعيد نفسه، الذي كان يتطلع إلى دعم نفوذه في شرق أفريقيا، لذا فقد اتخذ من زنجبار مقرا دائما لإقامته.

بين البلدين، لذا فقد أرسل الرئيس الأمريكي (ميلارد فيلمور) مبعوثا خاصا إلى السيد سعيد بن سلطان (الكومودور أوليك) وصل زنجبار في أول ديسمبر (١٨٥١م) واجتمع مع التجار الأمريكيين قبل أن يلتقي بالسيد سعيد، وعرف منهم احترام السيد سعيد للجالية الأمريكية وحسن معاملته لهم والامتيازات التي يتمتعون بها، لذا فقد حرصت الولايات المتحدة على اختيار قناصلها في مسقط وزنجبار بعناية خاصة بهدف تطوير العلاقات بين البلدين والتي أخذت تتنامى منذ عام (١٨٥٢م)، لذا فقد أشاد القناصل في تقارير بروح المودة التي يبديها السيد سعيد نحو الأمريكيين.

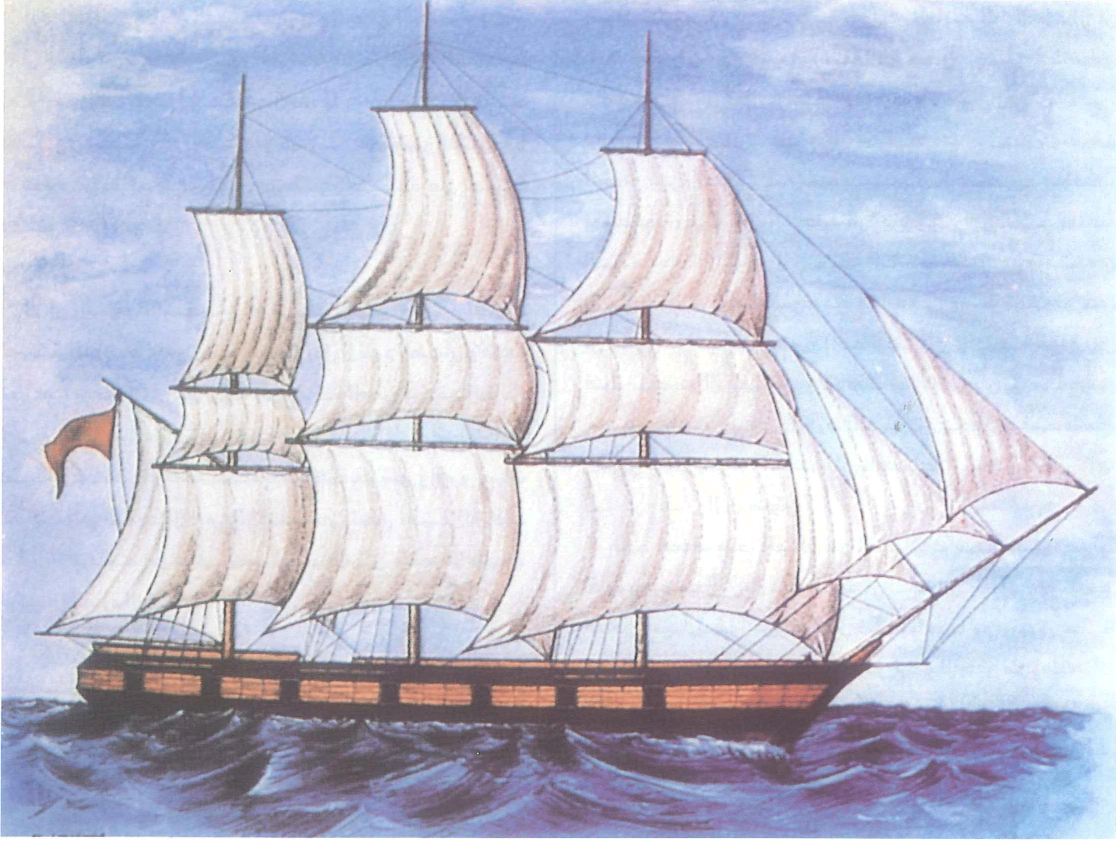
رحلة السفينة (سلطنة) إلى نيويورك

لقد بعث السيد سعيد بن سلطان بسفينته المسماة (سلطنة) في رحلة إلى نيويورك عام (١٨٤٠م) بهدف تقوية العلاقات بين البلدين وللمتاجرة، وتولى قيادة هذه السفينة ربان بريطاني يدعى وليام سليمان WILLIAM SOLEMAN واختار السيد سعيد أمين سره الخاص (أحمد بن نعمان الكعبي) ليكون مبعوثا شخصيا له في الولايات المتحدة.

لقد حمل مبعوث السيد سعيد هدايا للرئيس الأمريكي، عبارة عن جوازين عربيين وبعض الجواهر وسيف مطعم بالذهب، وقد أهدى الرئيس الأمريكي للسيد سعيد باخرة كبيرة وأربعة مسدسات تلقائية الدوران وبندقيتين تلقائيتين الدوران كذلك.

لقد استغرقت رحلة السفينة سلطنة حوالي عشرة أشهر منذ خروجها من زنجبار حتى عودتها، وقاد رحلة العودة ربان أمريكي اجتاز المحيط الاطلنطي بامواجه المضطربة، وعادت السفينة وهي محملة بالمنتجات الأمريكية من الأقمشة القطنية والبنادق والبارود وأطباق الصيني وبعض الأشياء الشخصية للسيد سعيد، بينما كانت قد حملت إلى نيويورك التمر العماني والسجاد الفارسي والعاج والصمغ والقرنفل والجلود.

لقد اشار تقرير عن السياسة الخارجية الأمريكية عام (١٩٤٦م) نحو عمان والخليج العربي عموما بأنه في الوقت



السفينة سلطنة.

نشاطها إلى البحيرات، وشاهد ليفنجستون السفن العربية وهي تجوب بحيرات افريقيا الوسطى مثل فكتوريا وتنجانيقا ونياسا، كما انشئت محطات عربية على بعض الجزر القائمة وسط هذه البحيرات وعلى سواحلها مثل أو جيجي وكازانجي، واستمرت مراكز عربية على الطرق التجارية لكي تزود القوافل بحاجتها من المؤن وتخزن البضائع في مستودعات خاصة.

ومن أهم الطرق التي استخدمها العرب لسيور القوافل الطريق الذي يبدأ عند بجمويو في مواجهة زنجبار، وينتهي عند بحيرة تنجانيقا، وقد تردد التجار العرب على عاصمة مملكة اوغندا وقد شاهد الرحالة الأوروبيون هذه القوافل وهي تتوغل غرب بحيرة تنجانيقا إلى مسافة مائة ميل في القسم الشرقي من حوض الكونغو.

وعموما فقد أكد السيد سعيد منذ البداية أن التنمية الاقتصادية تمثل المحور الأساسي في سياسته، لذا فقد أدخل زراعة القرنفل في زنجبار، حتى أضحت زنجبار وبمبا تنتجان ٩٠٪ من محصول العالم كله من القرنفل، وكتب ذلك حركة تجارية مزدهرة، لعل من أهمها تجارة القوافل العربية، التي جابت أعماق القارة الإفريقية حتى وصلت إلى الكونغو، وبحكم تحكم السيد سعيد في تجارة شرق إفريقيا فقد احتكر تجارة العاج والصف، حيث تبين أن بعض الدول الأوروبية تقوم بتصدير هاتين السلعتين دون دفع الضرائب المقررة (٥٪) لذا فقد أغلقت المنطقة الواقعة بين كلوه وبنجاني في وجه الملاحه الأجنبية، وأصبح السيد سعيد هو المهيمن الوحيد لهاتين السلعتين عند بيعها للتجار الأجانب في زنجبار. ومنذ عام (١٨٤٠م) انتظمت القوافل العربية ووصل



عمان كتعويض عادل لحاجة ثويني الماسة إلى المال، إلا أن هذا المبلغ لم يستمر بسبب انخفاض موارد زنجبار، لذا سارع ثويني بإصدار إعلان (١٨٥٦م) أكد فيه أنه الحاكم الفعلي والشعري لجميع ممتلكات عمان بما فيها إقليم زنجبار، وتفاقم الصراع بين الأخوين حتى جرد ثويني حملة عسكرية لمواجهة أخيه في زنجبار، إلا أن الإدارة البريطانية في الهند أوقفت الحملة ودعت الأخوين إلى عرض المشكلة للتحكيم واستدعى الأمر تشكيل لجنة تحقيق سنة (١٨٦١م) ووافق الأخوان على أن تكون توصيات اللجنة ملزمة للطرفين وانتهت اللجنة إلى قرار بتقسيم الإمبراطورية العمانية إلى جزأين منفصلين آسيوي وأفريقي كما أقرت اللجنة بأن يدفع ماجد المبلغ المتفق عليه لأخيه، إضافة إلى الأقساط المتأخرة التي بلغت ثمانين ألف ريال زمسواوي.

لقد أضعف هذا القرار من امكانات عمان التي أصبحت اقليميين منفصلين، وخاصة بعد أن استولى ماجد على جميع السفن التجارية والحربية التي كانت راسية في زنجبار عشية وفاة والده السيد سعيد والتي تمثل الجزء الأكبر من امكانات الإمبراطورية العمانية، مما أدى إلى تدهور ملحوظ في امكانات عمان الاقتصادية وخصوصا أن كثيرا من التجار انتقلوا برؤوس أموالهم إلى زنجبار بعد عام (١٨٦١م).



السيد ماجد بن سعيد بن سلطان.

لقد اقيمت المراكز العربية على طول طرق القوافل، وكان كبار التجار يروحون ويجيئون في حين استقر صغار التجار في العواصم الأفريقية، وانتهى الأمر بأن امتد نفوذ السيد سعيد بن سلطان إلى كل ركن تقريبا في شرق أفريقيا وووسطها وطبقت شهرته المنطقة الممتدة من المحيط الهندي إلى الكونغو.

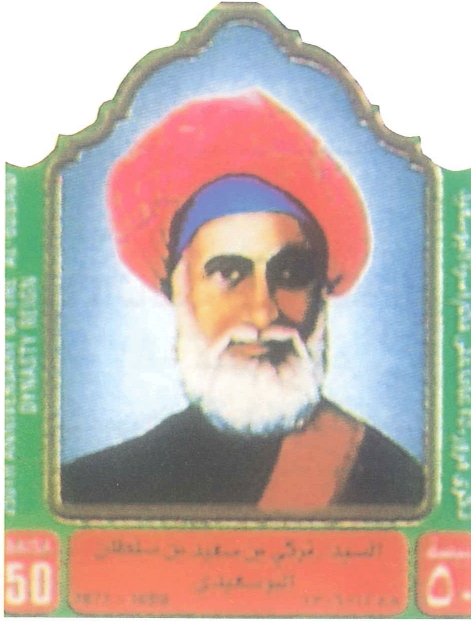
إلا أن القوى الاستعمارية لم تكن لتترك هذه القوة العربية الشامخة لكي يمتد من سواحل الخليج العربي ومنها بندر عباس ثم عمان يحدوها التاريخية المعروفة ثم الساحل الشرقي لأفريقيا من رأس جوردا قوس شمالا إلى رأس دلجادو جنوبا، إضافة إلى عدة مقاطعات كمقديشو ولامو وبات إضافة إلى النفوذ الأدبي والاقتصادي الذي امتد إلى قلب القارة الأفريقية لدرجة أن زنجبار أصبحت تمثل محور الاقتصاد الرئيسي للقارة الأفريقية.

ازمة الإمبراطورية العمانية بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان

الإمبراطورية العمانية الممتدة من بحيرات أفريقيا الوسطى غربا حتى مشارف شبه القارة الهندية شرقا كانت محصلة جهد فائق قام به رجل موهوب هو السيد سعيد بن سلطان، لذلك كانت وفاته عام (١٨٥٦م) نقطة تحول خطيرة في تاريخ هذه الدولة العملاقة، حيث انقسمت الدولة إلى دولتين.

القسم الأفريقي (زنجبار) فقد أصبح تحت سلطة السيد ماجد بن سعيد.

والقسم الآسيوي وتولى حكمه السيد ثويني بن سعيد، الذي كان ينوب عن والده في حكم عمان منذ عام (١٨٣٣م).
لقد أضحت لكل من الأخوين نفوذه الكامل على اقليمه، وبمبادرة من ماجد عين محمد بن سالم مبعوثا للسلطان ثويني لدى أخيه في زنجبار، وقد قام بمحادثات أدت إلى تعهد ماجد بدفع أربعين ألف ريال زمسواوي لأخيه ثويني في



السيد تركي بن سعيد بن سلطان.

الساحلية بقيادة سيف بن سليمان البوسعيد والي مطرح، والذي أصبح فيما بعد الساعد الايمن للسيد تركي، وفي عام (١٨٧١م) تمكنت قوات السيد تركي من دخول مطرح بعد ان وقعت معركة عنيفة واستسلمت مسقط ومطرح ودخلها السيد تركي في حراسة خمسمائة رجل من راكبي الجمال.

المرحلة الثانية من حكم السيد تركي ١٨٧٣ - ١٨٧٦م

لقد أخذ السيد تركي يعيد ترتيب قواته ويستكمل محادثاته مع زعماء القبائل ويبدل الجهد في سبيل الحصول على المواد المالية اللازمة، واشاع خصومه سنة (١٨٧٤م) أنه قتل أملا في تدهور معنويات انصاره، ومما ساعد على انتشار هذه الإشاعة ما ألم به من وعكة صحية لدرجة ان راح يفكر في اختيار شخص ليواصل مسيرته، وبالفعل استدعى شقيقه السيد عبد العزيز بن سعيد من منفاه بجواذر ليتحمل اعباء الحكم، وتسلم السيد عبد العزيز كل صلاحيات شقيقه كنائب له بعد ان توجه السيد تركي إلى جواذر للنقاهاة والعلاج، ومن هناك دارت محادثات مع زنجبار التي وافق حاكمها الجديد السيد برغش على استمرار دفع المبالغ التي

المرحلة الأولى من حكم السيد تركي بن سعيد ١٨٧٠ - ١٨٧٣م

منذ عام (١٨٧٠م) اخذت الأوضاع الداخلية في عمان تتفاقم، وكادت البلاد ان تدخل في اتون حرب أهلية لولا ظهور السيد تركي نجل السيد سعيد والذي يعد واحدا من الشخصيات المرموقة لدى القبائل العمانية.

لقد قرر السيد تركي إحداث تغيير هام بهدف احتواء الأوضاع المتهورة وقد شجعه على ذلك عدة عوامل:

١ - استناد السيد تركي على المساعدات المالية المتفق عليها مع أخيه ماجد حاكم زنجبار.

٢ - امكانات السيد تركي الخاصة، حيث تميز بعلاقات قوية مع القبائل العمانية اضافة إلى مواهبه الدبلوماسية ومقدرته السياسية على معالجة الأمور بما لديه من خبرة اهلته للقيام بهذه المهام.

٣ - لقد تميز السيد تركي بمقدرة فائقة في التعامل مع ممثلي بريطانيا في المنطقة.

وقد بدأت رحلته الشهيرة من الهند متجها صوب الساحل العماني بهدف لم الشمل وجمع الكلمة، ولم يتبع السيد تركي أسلوب إثارة سكان الساحل ضد النظام القائم في الوقت الذي تلقى فيه مساعدات سخية من أخيه ماجد في زنجبار، مما ساعده على التفاهم مع شيوخ القبائل المقيمين في المناطق الاستراتيجية بهدف تأمين زحركاته، لذلك فقد حظى بتأييد شيوخ دبي ورأس الخيمة وعجمان وشيوخ النعيم وبني قيس كما لقى تأييدا من العافرية.

وفي الوقت الذي ينظم فيه السيد تركي أوضاعه ويجري محادثاته مع القبائل اعتمادا على معونات مالية سخية من زنجبار إذا بخبر وفاة السيد ماجد في زنجبار، الذي انفق على هذه الحركة ما يقرب من ثمانين ألف ريال زمساوي ذهب معظمها في شراء الأسلحة وزخالفات القبائل إلا ان السيد تركي مضى في تنفيذ خطته بعد ان قدم تعهدا شفويا لممثلي بريطانيا بالحفاظ على المصالح البريطانية في المنطقة.

لقد اتخذ من مدينة صور نقطة ارتكاز لحركته، ثم استوثق من سكان سمد الشأن ثم ارسل بقوات عبر المنطقة



براعتهم ومهارتهم في تنفيذ أوامره بهدف تحقيق خطته وتوجهاته السياسية والدبلوماسية، كما كان هناك ولاية من أقرابه نظروا إلى مناصبهم من منظور أكثر استقلالية ونفوذاً، حيث يجمع الوالي بين يديه سلطات القائد العسكري والامني والقضائي والمالي.

وكان والي مسقط يعتبر من أهم مناصب الولاية ثم يأتي والي مطرح أما والي صحر فيأتي في المرتبة الثالثة أما ظفار وسمائل فكانت لهما أهمية خاصة في فكر السيد تركي لذا فقد كان يختار لهما أكفأ العناصر القيادية.

ثالثاً : الأ من والعدالة

تقع مهمة المحافظة على الأمن على عاتق الولاية في حين يتولى رجال يختارهم السلطان بنفسه مهمة الفصل في القضايا الجنائية والمدنية، والسلطان شخصاً هو المرجع الأعلى في حالة استئناف هذه القضايا.

أما قضايا القتل والجنايات الشخصية فإنها تعرض على السلطان شخصياً ولا يصدر حكم الإعدام إلا في حالة إثبات جريمة القتل وفي حالة الخيانة الوطنية، وتأتي جميع الأحكام وفقاً للشريعة الإسلامية اعتماداً على القرآن والسنة، ولم تكن توجد في عمان في نهاية القرن التاسع عشر سجون بالمعنى المتعارف عليه وإنما كانت هناك زنانات في القلاع والحصون.

رابعاً : الشؤون المالية

تشكل الامكانيات المالية عاملاً أساسياً من عوامل النفوذ السياسي، لذا فقد أضحت نفوذ السيد تركي يتوقف على كمية الأموال التي نحت يده، ومن أجل ذلك فقد استعان بالولاية والوزراء وكبار مستشاري الدولة من بين كبار التجار ورجال الأعمال بحكم خبرتهم في النواحي المالية.

لقد اعتمد السيد تركي في تحسين أحوال البلاد مالياً على الموارد التقليدية ومنها ما كان يعرف بضريبة العشر، وهي التي تفرض على الواردات إلا أنها استبدلت بـ 5% وأوكل جمع هذه الضريبة لفئة تجارية مقابل مبلغ إجمالي يورث لخزانة الدولة، وكانت إيرادات جمارك مسقط ومطرح تمثل معظم واردات الإمارات.

وتأتي القروض كمصدر آخر من مصادر الدخل، وكان

سبق واتفق على دفعها السيد ماجد الأمر الذي دعم مسيرة السيد تركي.

لقد كانت الأوضاع قد تطورت لصالحه وفي ديسمبر (١٨٧٥م) عاد إلى وطنه لبدء مرحلة جديدة تعد من أخصب فترات حكمه.

المرحلة الثالثة من عهد السيد تركي ١٨٧٦ - ١٨٨٨م

لقد استمرت هذه المرحلة إثني عشر عاماً، تميزت بتنفيذ برنامج طموح بهدف الارتقاء بمستوى الإدارة وتحديث أساليبها خصوصاً وأن جهود السيد تركي قد كُلت بالنجاح في عدة مجالات:

أولها : الحكم والإدارة

تشير المصادر البريطانية المعاصرة لحكم السيد تركي بأن تركيبة نظام الحكم بآلياته هو انعكاس لشخص السلطان نفسه، حيث زُحِدت سلطة السيد تركي وفقاً لطبيعة عمان الجغرافية والسياسية والاجتماعية والدينية وظروفها الاقتصادية، لذا فقد حافظ السيد تركي على معظم تلك المعطيات كما عهد بكثير من مهامه إلى مستشاريه الخصوصيين، منهم بدر بن سيف الذي تولى قيادة الجيش إضافة إلى ولايته على صحر ثم مطرح، ومن بين الذين استعان بهم السيد تركي سليمان بن سويلم، الذي شغل منصب السكرتير الخاص للسلطان كما شغل منصب والي صور وظفار. أما الوزراء والمستشارون الخصوصيون فقد اختارهم السيد تركي من الكفاءات العالية.

ثانياً : الإدارات الإقليمية

لقد عنى السيد تركي بالإدارات الإقليمية، حيث اعتبرها أكثر تعقيداً من الإدارة المركزية بحكم العوامل الجغرافية والأهمية الاستراتيجية والتنمية الزراعية والدفاعية، لذا فقد اتخذ السيد تركي من مبدأ التوازن هادياً له حين يعين ولاية الإدارات الإقليمية.

لقد اختار السيد تركي ولاية للمدن الساحلية، أثبتوا

الريجات المتعارضة، كما كان يلجأ إلى اقرار إعفاءات ضريبية كوسيلة لدعم تسوية الخلافات، وكان لا يلجأ إلى الاجراءات التأديبية أو التدابير العسكرية إلا بعد أن يستنفذ كل الوسائل الدبلوماسية، بل كان نادرا ما يلجأ إلى التدابير العسكرية، لذا فقد نجح في استتباب الأمن والتوفيق بين القبائل.

٣ - دبلو ماسية السيد تركي في فض المنازعات
لقد أثبتت الاحداث أن السيد تركي لديه إمكانيات سياسية ودبلوماسية عالية، وكان لا يذخر وسعا في استمرار الحوار والنقاش لفض الكثير من المشاكل التاريخية المزمّنة مدركا بأن الخيار الدبلوماسي الهادئ أقل تكلفة وجهدا من الخيار العسكري، ومن أجل ذلك فقد وضع قواعد لحسم الخلافات وكان غالبا ما يبحث بأفضل مساعديه إلى الأطراف المتنازعة مخولا لهم كل السلطات لتسوية الخلاف، وفي حالة اخفاق المبعوث يقوم بعقد هدنة بين الطرفين المتنازعين ريثما تتم دراسة الوضع ثم يدعى الطرفان المتنازعان إلى العاصمة مسقط للاجتماع بالسيد تركي شخصيا، وفي حالة المنازعات التي تتسم بطابع خاص مثل قضايا القتل والحراية والميراث فالمرجع هنا هم علماء الشريعة، الذين يعتمد عليهم السلطان في إصدار الاحكام التي تعينه على اتخاذ ما يراه مناسباً.

٤ - دبلو ماسية الغرامات المالية
لقد اتخذ السيد تركي من الغرامات والضرائب التأديبية وسيلة لردع القبائل المتمردة... ففي عام (١٨٧٤م) حكم السيد تركي على احدى القبائل بدفع غرامة قدرها خمسة عشر ألف ريال لاشتراكها في حركة زمرّد، كما فرض على القبائل التي غزت مسقط عام (١٨٧٧م) ضريبة تأديبية وقيودا تجارية طبقا لقواعد وضعها لمعالجة هذه المشكلات، وقد استطاع بهذا الأسلوب الخاسم اخضاع مناطق عمان ونمّكن من اعادة الوحدة والاستقرار إليها.

وقد شهدت الفترة الأخيرة من حكم السيد تركي هدوءاً حتى وفاته عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) بعد أن ترك وراءه ملكة تتميز بقدر من التنظيم والاستقرار هيأ لابنه وولي عهده السيد فيصل أن يتولى مقاليد الحكم في جو سلمي.

التجار يقدمون تلك القروض للحكومة وللأفراد معا، إضافة إلى الاقساط السنوية التي تدفعها حكومة زنجبار لمسقط وفي بعض الأحيان كانت حكومة مسقط تقترض من زنجبار، كما حدث سنة (١٨٨٤م) حينما اقترضت حكومة السيد تركي من زنجبار ما قيمته اثنان وثلاثون ألف روبية لتغطية العجز في الميزانية، ثم لجأت الحكومة بهدف تغطية العجز في ميزانيتها سنة (١٨٨٥م) إلى فرض ضريبة على الصادرات الزراعية التي تصدر عن طريق مينائي مسقط ومطرح، كما شكلت ضريبة بيت المال وهي التي تأتي من حصيلة إيجار الأراضي والمباني والمؤسسات الحكومية إلا أنها شكلت موردا محدود جدا، لذا استحدثت الحكومة ما كان يعرف برسوم الميناء، حيث يحصل ريالان كرسوم على كل سفينة أثناء دخولها ومغادرتها ميناء مسقط.

الدبلو ماسية المرنّة للسيد تركي

لقد تميز السيد تركي باتباعه أساليب دبلوماسية بارعة شملت عدة جوانب:

١ - دبلو ماسية فض المنازعات

حيث اعتمد على الدبلوماسية الهادئة في التوفيق بين القبائل وفض المنازعات، خصوصا وأن جغرافية عمان تتميز بخصوصية شديدة تقتضي التعامل مع الواقع السياسي والاجتماعي بمرونة شديدة بما لا يتعارض مع المصالح الاستراتيجية، وقد اتضح للسيد تركي أن إقامة الأمن والنظام في مقدمة المهام التي تقوم بها الدولة، لذلك فقد حرص على إقامة علاقات وطيدة بينه وبين القبائل ما أعطى لنفوذه مشروعية وقبولا لدى كل القبائل العمانية.

٢ - دبلو ماسية المساعدات المالية

لقد عمد السيد تركي إلى الربط بين عملية فض المنازعات بالوسائل السلمية ودعمها بالمساعدات المالية، فحين ينشب صراع بين طرفين نجده يسارع بوضع إمكاناته لفض النزاع بالطرق السلمية من خلال محادثات بهدف التوفيق بين



للحم في منطقة الجصة في عام (١٣١٦هـ/١٨٩٨م)، وعندما علمت بريطانيا بذلك أرسلت اللورد لانس دوان نائب الملك في الهند واللورد سالسبوري وزير الخارجية البريطانية إلى عمان عام (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م)، وبعد مقابلتهما للسيد فيصل انتهت النقاش إلى أن لعمان الحق في الارتباط بعلاقات خارجية مع أية دولة من الدول، وأن عمان على استعداد لعقد معاهدات تجارية وود وصداقة مع بريطانيا، واستمر حكم السيد فيصل حتى وافته المنية في شهر (ذي القعدة ١٣٣١هـ/أكتوبر عام ١٩١٣م).

السلطان السيد تيمور بن فيصل

تولى السلطان السيد تيمور دقة الحكم في ظروف صعبة على المستويين الداخلي والخارجي حيث شهدت عمان صراعات داخلية كما أن شبح الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) أخذ يلوح في الأفق، والازمة الاقتصادية العالمية تكاد تخنق معظم الدول.



السلطان السيد فيصل بن تركي

تولى السلطان السيد فيصل بن تركي حكم عمان في فترة شهد فيها العالم العربي موجة من ازدياد النفوذ الاستعماري الأوروبي وخاصة البريطاني والفرنسي، حيث احتلت بريطانيا وفرنسا العديد من اجزاء الوطن العربي أو أصبح تحت نفوذهما، والقليل من الدول اقلت من هذا الضو الاستعماري ومن بينها عمان، حيث تمكن السيد فيصل بن تركي من أن يسوس دقة الحكم وسط هذه الانواء، كما أولى اهتمامه للوضع الداخلي بهدف تقوية الجبهة الداخلية، ومن أجل ذلك كون جيشا قويا جعل قيادته لاختيه فهد الذي قام بأكثر من حملة لتوطيد الامن في ربوع عمان.

وقد اتسمت سياسة السلطان السيد فيصل بن تركي بالتوازن في علاقة عمان بكل من بريطانيا وفرنسا. ففي عام (١٣١٢هـ/١٨٩٤م) وافق على انشاء قنصلية فرنسية في مسقط، كما أعطى للفرنسيين امتيازاً بإنشاء مستودع



وقد حاول السلطان السيد تيمور ان يتجنب كل ما يمكن تجنبه من هذه المصاعب والازمات، فحاول ان يخلق نوعا من الاستقرار السياسي الذي يترتب عليه تحسين الوضع الاقتصادي، ولهذا بادر بعقد اتفاقية السيب في عام (١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م).

وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى اخذت التجارة العمانية تنعش من جديد، الا انها تعرضت لازمة بسبب الكساد الاقتصادي الذي ساد العالم في مطلع الثلاثينات، كما قام السيد تيمور باصلاح الوضع الاقتصادي بان استقدم ثلاثة من الخبراء المصريين لتطوير نظام الجمارك في مسقط، كما شكل أول مجلس للوزراء في تاريخ عمان برئاسة نادر بن فيصل، ولم يلبث ان عين ولده السيد سعيد رئيسا لمجلس الوزراء وذلك منذ عام (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م).

ومن الاحداث الهامة في عهد السيد تيمور، توقيع أول اتفاق بين عمان وشركة داركي للتنقيب عن النفط في السلطنة في عام (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) الا انه لم يتم اكتشاف اي من آبار البترول في عهده الذي امتد حتى عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، حيث تنازل في ذلك العام عن الحكم لولده السيد سعيد، وذلك لاسباب صحية ألهمت به.

السلطان السيد سعيد بن تيمور

بعد تولي السلطان السيد سعيد بن تيمور الحكم وجد ان العالم يعاني معاناة شديدة من وطأة الازمة الاقتصادية التي نجتاحه، لذلك اختط لنفسه سياسة مالية اتسمت بعدم تحميل البلاد بما لا تطيق من الديون، لان الديون هي مكن الداء حيث تخلق وضعا يسمح بالتدخل في شؤون البلاد من قبل الدول الدائنة، لذلك قرر بان ينفق في حدود امكانات دولته، ولتزم بتسديد ما على الدولة من ديون.

كما اتخذ خطوات لتدعيم علاقته الخارجية، فقام بجولة في عام (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) زار فيها اليابان والولايات المتحدة الأمريكية، واجتمع مع رئيسها روزفلت (١٣٥٢ - ١٣٦٥هـ/ ١٩٣٣ - ١٩٤٥م) الذي استقبله وتبادل معه الهدايا، فكان أول حاكم عربي يزور الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها سافر إلى بريطانيا حيث استقبله ملكها جورج الخامس، ثم انتقل إلى فرنسا فايطاليا واخيرا الهند التي عاد منها إلى مسقط، وفي عام (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م)

قام برحلة إلى مصر واستقبله ملكها فاروق، ثم زار القدس عاصمة فلسطين.

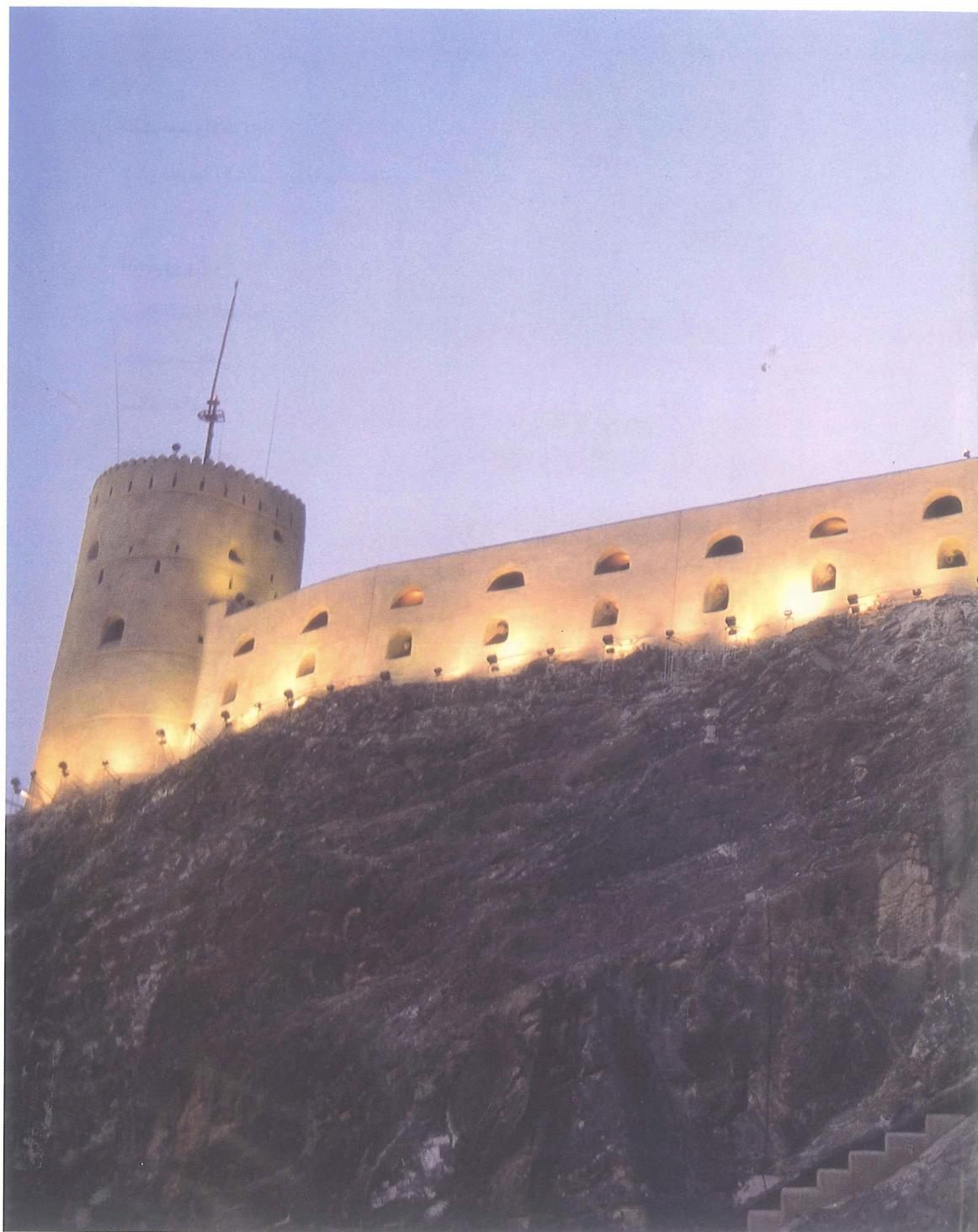
وفي عهد السلطان السيد سعيد بن تيمور تم حدثان كبيران، أولهما هو حل الخلافات التي كانت قائمة مع المملكة العربية السعودية حول واحة البريمي ابنا منه بوحدة التراب العماني، اما الحدث الثاني فهو منح شركة تنمية نفط عمان امتياز التنقيب عن النفط في السلطنة. وفعلا تم اكتشاف النفط وبدأ تصديره منذ جمادى الاولى عام (١٣٨٨هـ/ اغسطس عام ١٩٦٨م).

وقد وفر الحدث الأول الهدوء بالنسبة للجهة الداخلية، كما وفر الحدث الثاني الدعم المالي لبدء نهضة اقتصادية شاملة لم تلبث ان بدأت في عهد ابنه جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم الذي تولي مقاليد الأمور في الثالث والعشرين من يوليو ١٩٧٠م ومرحلة جديدة و متميزة في تاريخ عمان.....



قلعة الجلاي في مسقط.

40001





التصميم والإخراج :

الدار العربية للإعلان - بروموتارجيت -

المصورون :

وكالة الأنباء العمانية

محمد مصطفى

سالم الهاشلي

خميس المحاربي

محمد الراشدي

تغلب البرواني

جريدة عمان

الإنعكاسات للإنتاج الفني

مركز التصوير

ياكوبز ويلام كروزا

ستيف مولتن

ديفيد مندر

لوليدن

الطباعة :

مطبوعة مزون - تليفون: ٧٠٨٠٠٤



إصدار: وزارة الإعلام

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م